

أثر التأويل النحوي في توجيه المعنى والإعراب في

كتاب الشعر لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)

م.د. وسام يعقوب هلال*

تأريخ التقديم: ٢٠٢٠/٦/١٠

تأريخ القبول: ٢٠٢٠/٧/١٥

المستخلص:

تكمن أهمية التأويل النحوي وهو حمل الكلام على غير ظاهره في أمرين هامين الأول: كونه وسيلة لرد ما خالف القاعدة النحوية. التي وضعها النحاة نتيجة لاستقراء كلام العرب. إلى القاعدة وقد مكنهم ذلك من جعل مقاييسهم مطردة وفق الكثير الشائع، والأمر الآخر توجيه معنى النصوص غير واضحة الدلالة ظاهرا إلى وجه يقبله الإعراب والمعنى ويمنع تضاربهما أو خروج أحدهما عن مقياس اللغة العربية وسلامتها. ولما كان "أبو علي الفارسي" في كتابه كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشككة الإعراب^(١) دؤويا في توجيه الكثير من النصوص الشعرية، وجعل فهمها موافقا لصحيح المعنى وسلامة الإعراب، اعتمد التأويل وسيلة من الوسائل لبلوغ مراده. وقد تناول هذا البحث أثر التأويل في توجيه المعنى والإعراب في هذا الكتاب محاولا الكشف عن هذا الأثر في نصوص كتاب الشعر واعتماد مؤلفه. وهو علم من أعلام العربية. التأويل وسيلة لتوجيه هذه نصوص.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة على النبي الأمين محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد فالتأويل وسيلة من وسائل توجيه النصوص التي لا يمكن تفسيرها وفق ظاهر لفظها لما يؤديه ذلك من إخلال في القاعدة النحوية أو إخلال في الإعراب والمعنى

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

١ . الطبعة التي اعتمدها البحث بتحقيق: أ.د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة

المدني، ط١، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م

؛ولذلك لجأ إليه النحويون لضبط هذه النصوص. ولما كان كتاب الشعر لأبي علي الفارسي كتاب معانٍ وإعرابٍ كما وصفه محققه الأستاذ الدكتور محمود محمد الطناحي، كان لا بد لأبي علي الفارسي من اللجوء إلى التأويل لتوجيه الكثير من نصوص كتابه التي لا يتوافق ظاهرها إن حملت عليه مع سلامة الإعراب وصحيح المعنى؛ ولأهمية هذا الكتاب فضلا عن أهمية مؤلفه وأهمية التأويل في توجيه المعنى والإعراب فيه، رغب الباحث في خوض غماره واطهار مدى اعتماد أبي علي التأويل فيه. وكان لا بد من منهج علمي في تناول البحث؛ فلذلك جاء البحث على خمسة مباحث تتقدمه توطئة تناولت تعريف التأويل وأهميته ووسائله، على حين تناول المبحث الأول: التأويل بالحذف، والمبحث الثاني: التأويل بالزيادة، والمبحث الثالث: التأويل بالتقديم والتأخير، والمبحث الرابع: التأويل بالحمل على المعنى، والمبحث الخامس: تأويل اللفظ بلفظ آخر. ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث. راجيا من الله التوفيق والسداد، فهو المنعم والمتفضل وحده سبحانه وتعالى.

التوطئة

تعريف التأويل :

التأويل لغة: التأويل في اللغة من أول يؤول تأويلا ، ويأتي بمعان عدة : منها الرجوع والعودة يقال آل يؤول إذا رجع وعاد ، وبمعنى الجمع والإصلاح فيقال : ألت الشيء ، أي جمعته وأصلحته ، ويقال في الدعاء : أول الله عليك أمرك بمعنى جمعه. ويأتي بمعنى التحري يقال : تأولت في فلان الأجر بمعنى تحريته وطلبته ، وقد يكون بمعنى المرجع والمصير يقال : آل إلى كذا يؤول بمعنى صار إليه ، وأولته بمعنى صيرته إليه^(١)، ويكون بمعان أخر ليست مما نحن فيه^(٢).

١ . ينظر تهذيب اللغة للأزهري، أبي منصور محمد بن أحمد(ت٣٧٠هـ)،الأستاذ إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٣٨٧ هـ. ١٩٦٧م، ١٥/٤٥٨ - ٤٦٠ /أول/
٢ . ينظر المصدر نفسه ١٥ / ٤٥٩ - ٤٦٠ / أول /

أما في الاصطلاح: فقد عرف أيضا بتعاريف عدة، منها ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني (٤٢٠ هـ) بأن " التَأْوِيلُ من الأَوَّلِ أي الرجوع إلى الأصل ومنه المَوْئِلُ للموضع الذي يرجع إليه وذلك هو ردُّ الشيء إلى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا "(١).

وعرفه سليمان بن خلف (ت ٤٧٤ هـ) بأنه " صرف الكلام عن ظاهره إلى وجه يحتمله. ومعنى ذلك أن يكون الكلام يحتمل معنيين فزائدا إلا أن أحدهما أظهر في ذلك اللفظ إما لوضع أو استعمال أو عرف. فإذا ورد وجب حمله على ظاهره إلا أن يرد دليل يصرفه عن ذلك الظاهر إلى بعض ما يحتمله"(٢).

وعرفه القاضي الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) بأنه " في الأصل : الترجيع ، وفي الشرع : صرفُ اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة"(٣).

ولم أجد فيما توافر لدي من مصادر تعريفا للتأويل عند النحاة إلا أنهم استعملوه كثيرا في كتبهم بالمفهوم الذي تقدم من تعريف غيرهم له، فعرض أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) لمفهومه في كتابه جدل الإعراب عند حديثه عن الاعتراض على الاستدلال بالنقل على متن المنقول، فذكر في الاعتراض عليه خمسة أوجه رابعها الاعتراض بالتأويل، قال: " والرابع التأويل، مثل أن يقول الكوفي: (الدليل على جواز ترك صرف ما ينصرف في ضرورة الشعر قول الشاعر(٤):

وممن ولدوا عامرُ
ذو الطول وذو العرض

١ . مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن مفضل، راجعه وعلق عليه: نجيب

الماجدي ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٣٠ هـ. ٢٠٠٩م، ٤١ / أول /

٢ . الحدود في الأصول لسليمان بن خلف، أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، ت.د.نزيه حماد، مؤسسة الزعبي، بيروت، ط١٣٩٢، ١٣٩٢ هـ. ١٩٧٣م، ٤٨

٣ . التعريفات القاضي الجرجاني، علي بن محمد بن علي، ت: عادل أنور خضر، دار المعرف، بيروت، ط١٤٢٨، ١٤٢٨ هـ. ٢٠٠٧م، ٥١

٤ . البيت لذي الأصبغ العدواني في ديوانه ٤٨، ت.د.عبد الوهاب محمد علي العدواني و د. محمد نايف الدليمي، مطبعة الجمهور، ١٣٩٣ هـ. ١٩٧٣م

فترك صرف (عامر) وهو منصرف ؛ فدل على جوازه). فيقول البصري : (إنما لم يصرف لأنه ذهب به إلى القبيلة، والحمل على المعنى كثير في كلامهم كقول الشاعر^(١)):

قامت تُبكيه على قبره من لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذا غربة قد ذلّ من ليس له ناصر

فقال: (ذا غربة) ولم يقل: (ذات غربة) لأنه حملة على المعنى كأنه قال: (تركتني إنساناً ذا غربة)، و(الإنسان) ينطلق على الذكر والأنثى (.....^(٢)). فأراد بالتأويل هنا حمل الكلام على معنى آخر غير ما أراده المستدل لدفع دليله ودحضه فالأنباري وإن لم يعرفه إلا أنه ذكره بالمفهوم .

وقال أبو حيان الاندلسي (ت ٧٤٥ هـ) في التأويل: "التأويل لا يكون إلا إذا كانت الجادة على شيء ، ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول، أما إذا كانت لغة طائفة من العرب لم تتكلم إلا بها فلا تأول"^(٣). فأراد بالتأويل غير ما أراده الأنباري إذ الغاية المبتغاة منه هنا هو رد ما خالف القاعدة إلى القاعدة الأصل إلا أن يكون لغة من لغات العرب فلا يتأول.

أهمية التأويل :

إن من الأصول التي احتكم إليها النحاة ولاسيما البصريون منهم أنهم بنوا قواعدهم النحوية على الكثير الشائع في كلام العرب وما خالف هذا الكثير فهو من القليل أو النادر أو الشاذ أو مما يمكن تأويله ورده إلى القاعدة النحوية العامة المبنية على الأصل الذي تقدم^(٤)، ذلك أن " مخالفة التراكيب في الظاهر للقواعد الإعرابية غير مضرّة ، ولا قاذحة

- ١ . البيتان غير منسوبين في الأصول في النحو لابن السراج ،أبي بكر محمد بن سهل(ت ٣١٦ هـ)،ت: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة،بيروت، ط٣، ١٤١٧ هـ. ١٩٩٦م، ٣/٣٨٤
- ٢ . الإعراب في جدل الإعراب لأبي البركات الأنباري، عبد الرحمن كمال الدين بن محمد، ت:سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ١٣٧٧ هـ. ١٩٥٧م، ٤٩ - ٥٠
- ٣ . التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي، ت: أ.د.حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م، ٤/٣٠٠، وينظر الاقتراح في أصول النحو للسيوطي، جلال الدين(ت ٩١١ هـ)، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية وراجع له علاء الدين عطية، دار البيروني، ط١، ١٤٢٧ هـ. ٢٠٠٦م، ٦٢
- ٤ . ينظر المدرس النحوية لدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ١٩٦٨، ٤٧ والمدارس النحوية أسطورة وواقع للدكتور إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٨٧، ١٨ - ١٩

في الكلام الفصيح ، لوروده في كلام الله . تعالى . المعجز الذي لا يُقدَّرُ على الإتيان بسورة مثله، ووردت أبياتٌ وشواهد جَمَّةٌ في كلام العرب ظاهرها يخالف القواعد ، وفيها روايات تتخالف ، فاحتاج النحاة إلى تأويلها وتخريجها على القواعد المستعملة المشهورة^(١)، وعلى ذلك فاللجوء إلى التأويل إنما كان لاستيعاب التباين والخروج على القاعدة برد جزئيات الظاهرة المخالفة للقواعد إلى وجه ترجع به إليها وقد مكنهم ذلك في كثير من المواضع إلى جعل مقاييسهم مطردة على وفق الكثير الشائع الذي بنيت عليه القواعد النحوية^(٢).

ولا تتوقف فائدة التأويل على ما تقدم فربما لجأ النحوي إليه لحاجة المعنى ، فبعض النصوص لا يتضح فيها المعنى إلا بوجه من وجوه التأويل ؛ فتفسير الكلام على ظاهره فيها قد يؤدي إلى فساده وعدم إفادته ، فلا بد عندئذ من اللجوء إلى التقدير ، وليس هذا التقدير ضرباً من خيال النحوي ، بل هو فهم لبنية الكلام الأساسية التي ورد عليها التعبير المنطوق^(٣)؛ ولهذا كثيراً ما كان النحاة عند التعرض للعبارة القرآنية والشعر العربي بالفهم والتحليل لا يقصرون نظرهم إلى ظاهر النصوص بل يمدونه إلى ما وراء ذلك الظاهر كي يتم إيضاح المراد كل بحسب اجتهاده ولا سيما حينما كانوا يقلبون التركيب الواحد وفق ما يمكن أن يحتمله التأويل فيفتحون بذلك ما استغلق من دلالات تعجز المعجمات عن إدراكها^(٤).

ويثبت مما تقدم أن التأويل إنما يلجأ إليه لغايات ثلاث :

١ . فيض نشر الانتشراح من روض طي الاقتراح للفاسي، أبي عبد الله محمد بن الطيب (١١٧٠هـ)، ت:أ.د.محمود يوسف فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي . الإمارات العربية المتحدة، ط١٤٢١، ١٠٠٠م، ٤٨٠، وينظر ضوابط الفكر النحوي دراسة تحليلية للأسس الكلية التي بنى عليها النحاة آراءهم للدكتور محمد عبد الفتاح الخطيب، تقديم: أ.د.عبد الرزاق، دار البصائر، القاهرة، ٢٠٠٦، ٣٣٧ / ٢

٢ . ينظر ضوابط الفكر النحوي ٢ / ٣٣٧

٣ . ينظر المصدر نفسه ٢ / ٣٤٠ - ٣٤١

٤ . ينظر بين الصناعة النحوية والمعنى عند السمين الحلبي في كتابه الدر المصون في علم الكتاب المكون رسالة ماجستير قدمها محمد عبد الفتاح الخطيب إلى كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالقاهرة ٣٢١ وضوابط الفكر النحوي ٢ / ٣٤٢ - ٣٤٣

الأولى : رد ما خالف القاعد إلى القاعدة.

والثانية : حاجة المعنى والإعراب له عندما يخل ظاهر النص بهما فيحمل على غير الظاهر مراعاة للمعنى والإعراب الصحيحين.

الثالثة : دحض الدليل المسموع الذي يستدل به الخصم لحمله على خلاف مراده .

ويمكن عد الغاية الأولى والثانية أي مراعاة القاعدة النحوية والمعنى الصحيح الذي يؤول إليه النص أصليين من الأصول التي اعتمدها النحاة في تحليلهم للنصوص. وكان لا بد من اللجوء إلى التأويل كي يتمكن النحاة من ضبط هذين الأصليين في كثير من المواضع . والذي يُعنى به البحث هو أثر التأويل في توجيه المعنى والإعراب في كتاب الشعر "لأبي علي الفارسي" إذ كثيرا ما لجأ إليه أبو علي الفارسي لتحقيق هذه الغاية ، وكان لا بد له أن يعتمد وسائل التأويل التي اعتمدها النحاة ليتمكن من توجيه المعنى والإعراب على الأوجه التي يراها صحيحة ، وأهم هذه الوسائل هي :

١ . التأويل بال حذف والتقدير

٢ . التأويل بالزيادة

٣ . التأويل بالتقديم والتأخير

٤ . التأويل بالحمل على المعنى

٥ . تأويل اللفظ بلفظ آخر

على أن البحث لن يتناول هذه الوسائل المعتمدة للتأويل على وجه الاستقصاء التام، وإن كان فعل ذلك في جردها بل سيتناول منها ما يجده مناسبا للكشف عن أثر التأويل عند "أبي علي الفارسي" في توجيه المعنى والإعراب في كتاب الشعر.

المبحث الأول : التأويل بالحذف والتقدير :-

يعد الحذف ظاهرة لغوية كبيرة في اللغة العربية نالت حظا وافرا من لدن الدارسين قديما وحديثا في دراساتهم اللغوية ولاسيما النحاة ومنهم "أبو علي الفارسي" الذي وجه في ضوءها المعنى والإعراب في كثير من النصوص التي تعرض لها في كتاب الشعر بالشرح والتفسير والتوضيح ، والذي يعنينا هنا من هذه الظاهرة ما أتاحت كوسيلة لضبط العلاقة بين المعنى والإعراب وتوجيهها بما يخدم كليهما وصولا إلى الوجه الصحيح الذي

يبتغيه" أبو علي الفارسي" عند معالجته النصوص موضع الدرس ، من ذلك ما جاء في التوجيه بحذف المبتدأ والخبر في قول لبيد بن أبي ربيعة^(١):

"بَسْرَتْ نَدَاهُ لَمْ تَسْرَبْ وَحُوشُهُ بَغْرَبٍ كَجَذَعِ الْهَاجِرِيِّ الْمُشْدَبِّ"

فذكر "أبو علي الفارسي" أن قوله (كجذع الهاجر) لا يكون صفة للفرس الذي عناه الشاعر بقوله (بغرب) ، بل يكون صفة للعنق وعليه لابد من تقدير محذوف يكون مبتدأ خبره (كجذع الهاجر) ، وتقدير المعنى " بغرب عنقه كجذع الهاجري .. " ^(٢).
ومن ذلك توجيهه لقول علقمة الفحل^(٣):

"وَقَدْ أَصَابُ فِتْيَانًا شَرَابُهُمْ خُضِرُ الْمَزَادِ وَلَحْمٌ فِيهِ تَنْشِيمٌ"

فذكر أنه لابد من تقدير مضاف محذوف يكون خبرا في قوله " شرابهم خضر المزاد " ؛ لأن (خضر المزاد) . وهو الماء الذي بقي طويلا فيما يحمل فيه وهو المزاد فاخضر وتغير. لا يكون الشراب ، وتقدير الكلام "شرابهم شرابُ خضر المزاد". وكذلك في قوله : " ولحم فيه تنشيم " لابد من تقدير مبتدأ فيكون تقدير الكلام : (طعمهم لحمٌ فيه تنشيمٌ) ؛ لأنه إن لم يقدر مبتدأ محذوف عطف (لحم) على (شرابهم) وكأن الكلام " شرابهم شراب خضر المزاد ولحم " وفي هذا إخلال بالمعنى ؛ لأن اللحم لا يكون شرابا^(٤). فلما كان المعنى لا يستقيم بالإعراب الظاهر لجأ إلى بناء الإعراب على تقدير محذوف.
ومما أوله على حذف الخبر كي يستقيم المعنى والإعراب قول أمية بن أبي الصلت^(٥):

"لَا نَقْصَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ خَبِيئُهُ قَمَرٌ وَسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُعْمَدُ"

فذكر أن الشاعر يصف القمر فيذكر أن ما يراه الرائي من نقص فيه لا يرجع إلى نقص في خلقته فهي لا تتغير أبدا عن تمامه ، بل يرجع نقصانه وتمامه لقربه أو بعده عن الشمس ، فعلى قدر قربه أو بعده منها يكون تمامه ونقصه في مرآة العين. وإنما يكون ذلك

١ . في شرح ديوانه ١٢ ، ت: د. إحسان عباس ، التراث العربي، الكويت، ١٩٦٢ ، وكتاب الشعر ٢٨٨

٢ . ينظر كتاب الشعر ٢٨٨

٣ . في شرح ديوانه ٥٠ . للأعلم الشنتمري، أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى (ت ٤٧٦هـ)، ت: د. حنا نصر الجتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م، وكتاب الشعر ٢٢٢

٤ . ينظر كتاب الشعر ٢٢٢

٥ . ديوانه ٤٩ ، ت: سجع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، وكتاب الشعر ٢٣٣

من الشمس ولا يكون من (الساهور) في قول الشاعر؛ لأن (الساهور) ظلُّ الأرض الذي يستر ضياء الشمس عن القمر فيكسفه فهو ليس بخبيٍّ للقمر ، فلا يكون على حد قولهم " خبيُّك دِرْهَمٌ ودينارٌ " وعليه لا يجوز عطف (ساهور) على (القمر) ، بل يكون على الاستئناف مبتدأ لخبر محذوف والتقدير (ثمَّ ساهورٌ) ، أو (في الوجود ساهورٌ) يُسَلُّ وَيُعْمَدُ ، أي يُسَلُّ القمر منه تارة في تجليه غير مكسوف ويُعْمَدُ فيه أخرى إذا كُسِفَ ، ويسل ويغمد في موضع رفع صفة لـ(ساهور)^(١).

ومنه قول المرار الفقعسي^(٢):

"إِذَا هِيَ خَرَّتْ خَرًّا مِنْ عَن شِمَالِهَا شَعِيبٌ بِهِ إِجْمَامُهَا وَلُغُوبُهَا"

فلا بد في هذا البيت من إضمار خبر لقوله (لغوبها) فيكون تقدير الكلام (شعيبٌ به إجمامُها وبه لغوبها) ؛ وذلك لأن الإجمام واللغوب هما الراحة والتعب وهما صفتان لا يجتمعان فلا يستقيم الكلام إلا بإضمار خبر للغوب ، وكذلك ما أشبه ذلك من الصفات التي لا تجتمع من نحو قولهم "دِرْهَمًاكَ مِنْهُمَا جَيِّدٌ وَرَدِيٌّ" ونحو قوله تعالى ﴿ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (هود : ١٠٥) " لا يكون إلا على إضمار الخبر^(٣) ومنه قول الفرزدق^(٤):

"وَإِنِّي مِنْ قَوْمٍ بِهِمْ يُتَّقَى الْعِدَى وَرَأْبُ الثَّأِي وَالْجَانِبُ الْمَتَخَوْفُ"

فذكر "أبو علي الفارسي" أنه لا يستقيم حمل قوله (رأب الثأبي) على قوله (يُتَّقَى) ؛ لأن المعنى لا يصح أن يكون (ويتقى رأبُ الثأبي) ؛ ولذا وجب تقدير محذوف فيكون تقدير الكلام (ورأبُ الثأبي لهم) ، فـ (رأبُ الثأبي) مبتدأ والخبر مضمرة تقديره (لهم) . ولا يقدر الخبر عنده (بهم) لأمرين : الأول : أنه قد ذكر (بهم) ، والآخر : أن الكلام يدل عليه إذ المعنى " لهم البأس والنَّجْدَةُ " ^(٥) . وأجاز ابن جني إضمار

١ . ينظر كتاب الشعر ٢٣٣ . ٢٣٤ .

٢ . في كتاب الشعر ٢٩٩ .

٣ . ينظر كتاب الشعر ٣٠٠ .

٤ . ديوانه ٢٩/٢ ، دار بيروت ، بيروت ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م ، وكتاب الشعر ٢٧٥ .

٥ . ينظر كتاب الشعر ٢٧٥ .

(بهم) على تقدير (وبهم رَأبُ الثَّأِي) (١).

أما قول الشاعر: (والجانبُ المتخوف) فيجوز أن يحمل على (يُتَّقَى) فيكون التقدير "بهم يُتَّقَى العدى والجانب المتخوف"، ويجوز على تقدير حذف مضاف وعندها يكون تقدير الكلام "لهم رَأبُ الثَّأِي ورَأبُ الجانبِ المُتَخَوِّف" وهو الأولى عند أبي علي الفارسي (٢).

ومما تأوله على الحذف حذف الفاعل والمفعول به ومنه قول أبي دؤاد الأيادي (٣):

"أَلَا مَنْ رَأَى لِي رَأْيِي بَرَقَ شَرِيقٌ أَسَالَ الْبِحَارَ فَانْتَحَى لِلْعَفِيقِ
إِذَا مَا أَقُولُ أَوْسَعَ الْأَرْضَ كُلَّهَا تَلَأَلَا فِي مَخِيلَةٍ وَخُفُوقِ"

فذكر أن قوله (أسال البحار) على تقدير حذف الفاعل والكلام (أسال مطرُ سحابِ البرقِ البحارِ) فحذف الفاعل الذي هو المضاف والمضاف إليه والذي دل على ذلك السياق اللغوي في البيت إذ إن البرق لا يُسِيلُ البحار (٤). والمراد بالبحار جمع (بحر) وهو الأرياف وليس المقصود خلاف البر ، أو جمع (بحرة) وهي الرياض ، وهو أقرب من الأول (٥). وكذلك دل السياق اللغوي على الفاعل والمفعول المحذوفين في البيت الآخر، فتقدير الكلام في قوله " أوسع الأرض كلها " : " أوسع السحابُ الأرضَ كُلَّهَا غَيْثًا" (٦).

ومن حذف المفعول به قول أوس بن حجر (٧):

"تَوَاهِقُ رِجْلَاهَا يَدَاهَا وَرَأْسُهُ لَهَا قَتَبٌ خَلْفَ الْحَقِيبَةِ رَادِفُ"

١ . ينظر الخصائص لابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ،ت:د.عبد الحميد هندراوي، دار الكتب .بيروت ، ط ٣ ، ٢٠٠٨ ، ١ / ٢٩٤

٢ . ينظر كتاب الشعر ٢٧٥

٣ . ديوانه ١٣٨،ت : أنوار محمد الصالحي و د.أحمد هاشم السامرائي ،دار العصماء،دمشق،ط١ ، ١٤٣١هـ.٢٠١٠م ،وكتاب الشعر ٤٥٥ وشرح المفصل للزمخشري،لابن يعيـش،موفق الدين أبي البقاء بن علي بن يعيـش الموصلـي (٦٤٣ هـ) ، ت : د . أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١ ، ١٤٢٢هـ.٢٠٠١م، ٢/٢٠١.٢٠٠

٤ . ينظر كتاب الشعر ٤٥٥

٥ . ينظر المصدر نفسه ٤٥٧

٦ . ينظر المصدر نفسه ٤٥٧

٧ . ديوانه ٧٣ ، ت:د.محمد يوسف نجم ،بيروت ١٣٨٠هـ.١٩٦٠م وكتاب الشعر ٤٩٨

ففي هذا البيت حذف المفعول والذي هو يداها فكان المعنى "تواهق رجلاها يديها" وأضمر فعلا رفع به يدها فكان قال: "تُواهقُ رجلاها يديها تُواهقُ يداها" فيكون تقدير الفعل المضمر في هذا البيت على حد تقديره في نحو قول الشاعر^(١):

"لَيْبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَانِحُ"

فأنه لما بنى الفعل للمجهول فقال (لَيْبِكَ يَزِيدُ) دلَّ على الفعل المبنيِّ للفاعل فحمل (ضارع) على ذلك كأنه قال: "لَيْبِكِيهِ ضَارِعٌ"^(٢). وإنما حذف المفعول في قول أوس بن حجر لكثرتة في كلامهم، قال "أبو علي الفارسي": "فحذف المفعول؛ لأنَّ المفعولَ قد حُذِفَ كثيراً في كلامهم، وصار له هنا من الحُسْنِ مزيةٌ؛ لدلالةِ الفاعِلِ على المفعول، في باب (فاعِلَ)"^(٣). يريد أنه لما كان الفعل دالا على المفاعلة وهي المشاركة، فكان القائم بالفاعل فاعل ومفعول في الوقت نفسه، كثر حذف المفعول وحسن، فالمواهقة وهي المسايرة تكون من الرَجُلَيْنِ واليدين معا، فاليدان مُواهِقَتان وهما أيضا مُواهِقَتان^(٤).

ومما تأول عليه بالحذف حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه نحو قول عبد الله بن الحويرث^(٥):

"هُمُ أَنْشَبُوا زُرُقَ الْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ وَبِيضاً تَقِيضُ الْبَيْضَ مِنْ حَيْثُ طَائِرُهُ"

فذكر أن قول الشاعر "هُمُ أَنْشَبُوا زُرُقَ" على تقدير "زُرُقَ أَسِنَّةِ الْقَنَا"؛ لأن الذي يوصف بالزرقة هي الأسنة، أما الرماح فهي توصف بالسُّمرة؛ ولذا يقدر المحذوف هنا (الأسنة)^(٦).

ومثل ذلك قول ذي الرُّمة^(١):

١ . لحارث بن نهيك في الكتاب لسببويه ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) ت:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥ هـ. ٢٠٠٤م، ١ / ٢٨٨ وغير منسوب في كتاب الشعر ٤٩٩ وينظر أيضا هامش ١ ص ٤٩٩ لمحققه.

٢ . ينظر كتاب الشعر ٤٩٨ . ٤٩٩

٣ . كتاب الشعر ٤٩٨

٤ . ينظر الخصائص ٢ / ١٩٣ . ١٩٤ وهامش ٥ من كتاب الشعر ٤٩٨ لمحققه.

٥ . في كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(٢٧٦ هـ)، دار الكتب

العلمية ،بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ. ١٩٨٤ م، ٩٨٧ وغير منسوب في كتاب الشعر ١٨٥

٦ . ينظر كتاب الشعر ١٩٠

"وَمَهْمَهٍ طَامِسِ الْأَعْلَامِ فِي صَخَبِ الْأَصْدَاءِ مُخْتَلِطٍ بِالتَّرْبِ دَيُّجُوجٍ"

فأصل الكلام "طمست أعلامه في ظلمة ليل صخب الأصدقاء"، فحذف المضاف الذي هو (ظلمة) وأقام المضاف إليه مقامه، ثم حذف المضاف إليه وأقام صفته موضعه وهو قوله (صخب الأصدقاء). وحذف المضاف أيضا وأقام المضاف إليه مقامة في قوله (مختلط بالترب) والتقدير "مختلطة ظلمته بالترب"^(٢).

ومن الحذف حذف المضاف وقد تقدم تأويل بعض الآبيات عليه ومنه أيضا قول امرئ القيس^(٣):

"تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَدْرَعَاتٍ وَأَهْلُهَا بِيَثْرِبٍ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرَ عَالٍ"

ف (أدنى) في ظاهر الكلام مبتدأ خبره (نظر عال) ، غير أن (نظر عال) في الصحيح لا يجوز أن يكون هو الخبر؛ لأن (أدنى) على وزن (أفعل) وهو لا يضاف إلا إلى ما يكون بعضا له وعليه وجب أن يكون (أدنى من الدار) هو بعضها، وهو لا يكون النظر؛ لذا لا بد من حمل قول الشاعر على أحد أمرين : الأول : أن يكون أصل الكلام "نظر أدنى دارها نظر عال" فحذف المضاف من (أدنى).

والآخر: أن يكون حذف المضاف من النظر وأصل الكلام "أدنى دارها ذو نظر"، وبذلك يكون الثاني الأول فيصالح أن يكون خيرا للمبتدأ^(٤). ونقل ابن السيرافي (ت ٣٨٥هـ) قول بعضهم في معنى البيت وهو أن الشاعر " أراد أنه نظر إلى دارها بقلبه. وقوله : أدنى دارها نظر عال : يريد أن أقرب

المواضع التي تدنو من دارها؛ بينه وبين موضعها نظر عال ، أي مرتفع ، فكيف أراها بعيني ،

١ . في ديوانه ١٠٧ ، ت: زهير فتح الله ، دار صادر، بيروت، ٣، ٢٠٠٩ ، وغير منسوب في كتاب الشعر ٣٧٦

٢ . ينظر كتاب الشعر ٣٧٧

٣ . ديوانه ٣١، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ١٣٧٧، ٤٤٠ هـ . ١٩٥٨ م، والكتاب ٣/ ٢٣٣ والمقتضب للمبرد، أبي العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)، ت: محمد عبد الخالق عزيمة ، عالم

الكتب، بيروت ، ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م، ٤ / ٣٨ وكتاب الشعر ٢١٧ . ٢١٨

٤ . ينظر كتاب الشعر ٢١٧ . ٢١٨

وبيني وبينها بلاد كثيرة ، وهذا يقوي أنه نظر إليها بقلبه" (١).

ومنه أيضا قول أبي كبير الهذلي (٢):

"في رأس مُشْرِفَةِ القَدَالِ كَأَنَّمَا أَطْرُ السَّحَابِ بِهَا بَيَاضُ المِجْدَلِ"

فبياض المجدل ، وهو القصر لا يكون (أطر السحاب) ، أي انحناؤه ، فلا يكون خبرا عنه ؛ لذا لا بد من حمل الكلام على حذف مضاف ، والتقدير (كأنما بياض انحناء السحاب بياض القصر) . فيكون عندئذ قد شبه لونا بلون (٣).

ومثل هذا الحذف ، أي الذي ينبني عليه سلامة الإعراب وصحة المعنى كثير في كتاب الشعر ، وهو أكثر من أن يحاط به في هذا البحث ، لكن أوضح فيما تقدم من أمثله كيف أن "أبا علي الفارسي" وجه الإعراب والمعنى عليه.

المبحث الثاني : التأويل بالزيادة :-

اختلفت كلمة النحويين في معنى الزيادة في النحو وما تؤديه من فائدة (٤). غير أن الذي عليه أكثرهم هو أن تزداد كلمة في التركيب الجملي لا تتأثر بما قبلها نحويا ، ولا يكون لها أثر فيما بعدها ، فتكون زائدة وفق الصناعة النحوية ، لكن لا بد لها من أثر معنوي غالبا ما يكون إفادة الكلام زيادة في التوكيد ، ولو حذفت الكلمة المزادة لما أدى ذلك إلى إخلال في أصل التركيب من حيث اللفظ أو المعنى لكن يزول معنى التوكيد الذي توخيت من أجله الزيادة (٥)، أو زوال الاتساق اللفظي وفق النمط الفصيح الذي يبتغيه

١ . شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، يوسف بن أبي سعيد السيرافي ،ت: د. محمد علي السلطاني،

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ،مطبعة الحجاز بدمشق، ١٣٩٦ هـ . ١٩٧٦ م ، ٢ / ٢٢٠

٢ . في شرح أشعار الهذليين ١٠٧٦ وكتاب الشعر ٢١٨

٣ . ينظر كتاب الشعر ٢١٨

٤ . ينظر المسائل المشكلة المعروفة بالبعديات لأبي علي الفارسي ،ت : صلاح الدين عبد الله السكاوي

، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،إحياء التراث الاسلامي ،مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٣ ، ٣٤٣

٦. ٣٤٦. ،و الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي، ت :محمد عبد القادر الفضلي ، المكتبة

العصرية، صيدا . بيروت ، ١٤٢٦ . ٢٠٠٦ ، ١ / ٢٣٢ . ٢٣٤ وأصول التفكير النحوي لدكتور علي أبو

المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧ ، ٢٦٨ . ٢٧٢

٥ . ينظر الكتاب ١ / ٦٧ ، ٦٨ و ١٨١ والأشباه والنظائر ١ / ٢٣٢ . ٢٣٤ وضوابط الفكر النحوي ٣٥٩ .

المتكلم ، إذ إن زيادة اللفظ فيما نص عليه بعض النحاة يؤدي إلى اتساق الكلام^(١). على أن من المزداد ما يؤثر نحوياً فيما بعده من اللفظ دون أن يكون له أثر وظيفي ، فالباء في قولهم (أكرم بزید) مع أنها زائدة أثرت في لفظ (زيد) الجر ، وهو فاعلٌ وظيفَةٌ ينبغي أن يكون مرفوعاً ، لكن هذا الاثر اللفظي لم يحلّ دون أن يؤدي وظيفته وهو كونه فاعلاً. وقد عدّ حمل الكلام على أن فيه زيادة واحدة من وسائل التأويل النحوي^(٢). وجه "أبو علي الفارسي" في ضوئها المعنى والإعراب في مواضع من كتاب الشعر من ذلك حكمه على بعض الأسماء بالزيادة مع أن كثيراً من النحويين لا يرتضون القول بزيادة الأسماء ؛ لأنها إنما وضعت للدلالة على المعنى وزيادتها تنفي ذلك المعنى الذي جيء بها من أجله ، وذهبوا إلى أن الزيادة إنما تكون في الحروف والأفعال وأما الأسماء فلا تثبت فيها ، وأثبتها الكوفيون في بعض المواضع^(٣). وقد ذهب أبو علي مذهبهم في ذلك فأول بعض الأبيات التي شرحها في كتابه على أن فيها أسماء زائدة من ذلك زيادة كلمة (اسم) في قول ذي الرمة^(٤):

"لَا يَنْعَشُ الطَّرْفَ إِلَّا مَا تَخَوَّنَهُ دَاعٍ يُنَادِيهِ بِاسْمِ الْمَاءِ مَبْعُومٌ"

ف (اسم) في قوله (باسم الماء) على أحد الوجهين اللذين تأولهما في البيت زائد دخوله وخروجه على حد سواء والتقدير عنده (يناديه بالماء)^(٥). ومثل ذلك في "ثم اسم السلام عليكما" في قول لبيد^(٦):

- ١ . ينظر الأشباه والنظائر ١ / ٢٣٣ وأصول التفكير النحوي ٢٧٠ . ٢٧١
- ٢ . ينظر التأويل النحوي في القرآن الكريم لدكتور عبد الفتاح أحمد الحموز، مكتبة الرشد، الرياض، ط٤، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤ م، ٢ / ١٢٧٧ وما بعدها، وأصول التفكير النحوي ٢٦٧ وما بعدها، وضوابط الفكر النحوي ٣٥٨ وما بعدها
- ٣ . ينظر التذييل والتكميل في شرح التسهيل لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، ت: د. حسين هنداوي، كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٤٣٤هـ . ٢٠١٣ م، ١١ / ٢٥٩ . ٢٦٠، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب ، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ت: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، دارالفكر، دمشق، ط١، ١٣٨٤هـ . ١٩٦٤م، ١ / ١٩٦ . ١٩٥، والبرهان في علوم القرآن ليدر الدين الزركشي (ت ٧٤٩هـ)، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ٥٣١
- ٤ . ديوانه ٤٧٤ وكتاب الشعر ٣٠
- ٥ . ينظر كتاب الشعر ٣١
- ٦ . شرح ديوانه ٢١٤

"إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ"

تقديره (ثُمَّ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا)^(١). وهذا الذي ذهب إليه "أبو علي الفارسي" مذهب أبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ) في توجيه البسمة ، قال: " (بسم الله) إنما هو بالله لأن اسم الشيء هو الشيء بعينه"^(٢). وساق بيت لبيد استدلالاً على قوله. وذهب إلى قوله الأخفش^(٣)، وقطرب^(٤)، والزمخشري^(٥).

والوجه الآخر الذي ذهب إليه "أبو علي الفارسي" هو جعل الاسم المسمى توسعاً ؛ وذلك لمصاحبته له ولملابسته إياه كثيراً ، والكلام على حذف المضاف والتقدير 'يناديه باسم معنى الماء' هو الماء نفسه، أي (باسم ماء) والالف اللام فيه زائدة. وقد أجاز "أبو علي الفارسي" الأخذ بكلا الوجهين في توجيه البيتين^(٦). غير أن مَنْ نقل توجيهه للبيتين لم يذكر سوى التوجيه الآخر وقد وافقه فيما ذهب إليه واعترضوا على قول أبي عبيدة^(٧). ومناطق القول بزيادة (اسم) في نحو ما تقدم والقول بعدمه راجع إلى الخلاف في: هل الاسم عين المسمى أو غيره، وهي مسألة فيها خلاف ونقاش طويل^(٨).

ومن الأسماء التي ذهب أبو علي الفارسي إلى زيادتها كلمة (حيّ) في قول الشاعر^(٩):

"لَوْ أَنَّ حَيَّ الْغَانِيَاتِ وَحَشًا"

١ . ينظر كتاب الشعر ٣١

٢ . مجاز القرآن لأبي عبيدة، معمر بن المثنى، ت: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٤، دت، ١ / ١٦

٣ . ينظر كتاب الشعر ٣٢ وشرح المفصل ١٧٥/٢

٤ . ينظر الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦ هـ)، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، دت، ١ / ١٨

٥ . ينظر شرح المفصل ١٧٨ / ٢

٦ . ينظر كتاب الشعر ٣٣

٧ . ينظر الخصائص ٢ / ٢٧١ وشرح المفصل ١٧٨/٢ وارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الاندلسي، ت: د. مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٩ م، ٣ /

٢٩١ . ٢٩٢

٨ . ينظر نتائج الفكر في النحو للسهيلى، أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ . ١٩٩٢ م. ٣٠ . ٣٧

٩ . غير منسوب في كتاب الشعر ٣١

وقول الآخر^(١): "يا قَرَّ إِنَّ أَبَاكَ حَيٌّ خُوَيْلِدٍ قَد كُنْتَ خَائِفُهُ عَلَى الْإِحْمَاقِ"

وقول الآخر^(٢): "أَبُو بَحْرٍ أَشَدُّ النَّاسِ مِنَّا عَلَيْنَا بَعْدَ حَيِّ أَبِي الْمُغِيرَةِ"

ف (حي) في الأبيات جميعها وغيرها زائدة عنده، ونقل أن الأخفش سأل عن أبيات سمعها فقيل له: "قالهن حيُّ رياح" يريد رياحا^(٣). ومثله (ذو) في قول الشماخ^(٤):

"أَطَارَ نَسِيلُهُ عَنْهُ جُفَالاً وَأُدْمَجَ دَمَجٌ ذِي شَطْنٍ بَدِيعٍ"

وفي قول الأعشى^(٥):

"فكذبوهما بما قالت فصَبَّحَهُم ذُو آلِ حَسَّانٍ يَزْجِي المَوْتَ وَالشَّرْعَا"

أراد في البيت الأول (وأدمج دمج شطن) وفي الآخر (فصبحهم آل حسَّان)^(٦). وقد أجاز في لفظي (حيّ) و(ذي) ما أجازته في (اسم) من الوجه الآخر وإن لم يصرح فيهما ما صرح بذلك في الاسم إلا أنه فهم من كلامه العموم في ذلك ونقل ذلك عنه غير واحد من النحاة^(٧). وفي كتابه الحجة في علل القراءات السبع لم يذكر فيها غير الزيادة^(٨). ونقل عنه أبو عمر البغدادي أنه يذهب في الإيضاح الشعري يعني كتاب الشعر

- ١ . لجبار بن سلمى في النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ)، ت: د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط ١، ١٤٠١ هـ. ١٩٨١ م، ٤٥١ وغير منسوب في كتاب الشعر ٣١
- ٢ . لأبي الأسود في ديوانه ٦٥، ت: محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨ م، وغير منسوب في كتاب الشعر ٣٢
- ٣ . ينظر كتاب الشعر ٣٢
- ٤ . ديوانه ٢٣٣، ت: د. صلاح الدين هادي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨، وكتاب الشعر ٣٢
- ٥ . ديوانه ١٠٥، ت: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٣ م، والخصائص ٢ / ٢٦٩
- ٦ . ينظر كتاب الشعر ٣٢ و ٣٣
- ٧ . ينظر الخصائص ٢ / ٢٦٩ وضرائر الشعر لابن عصفور الأشبيلي (ت ٦٦٣ هـ)، ت: خليل عمران منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ. ١٩٩٩ م، ٦٤ وارتشاف الضرب ٣ / ٢٩١ / ٢٩٢
- ٨ . ينظر الحجة في علل القراءات السبع، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمود عوض ود. أحمد عيسى حسن المعصراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٨ هـ. ٢٠٠٧ م ٢ / ٣٩٨ و ٣ / ٩٥

إلى أن لفظة (حي) في بيت جبار بن سلمى بن مالك زائدة لا غير^(١). وذكر ابن عصفور^(٢)، والسيوطي^(٣)، أن زيادة الاسم فيما تقدم هي من ضرورات الشعر. ومما تأول عليه الإعراب والمعنى بالزيادة **زيادة الحروف** وهي كثيرة منها زيادة الباء في نحو قول عمرو بن ملقظ الطائي^(٤):

"مَهْمَا لِي اللَّيْلَةُ مَهْمَا لِيَهْ أَوْدَى بِنَعْلِيَّ وَسِرْبَالِيَهْ"

فقد أجاز فيه أن تكون الباء في قوله (بنعلي) زائدة مقحمة والتقدير (أودى نَعْلَاي) فتكون زائدة في فاعل أودى كزيادتها في الفاعل في قوله تعالى: ﴿كَفَى بِاللَّهِ﴾ (الرد : ٤٣)^(٥). وذهب ابن مالك الى ما ذهب إليه الفارسي في البيت^(٦). ولم يجز "أبو علي الفارسي" إلا على ضعف أن تكون الباء في (بنعلي) زائدة في المفعول به كزيادتها في قول الشاعر^(٧):

"هَنَّ الْحَرَائِرُ لَا رَبَّاتُ أَحْمِرَةٍ سُوْدُ الْمَحَاجِرِ لَا يَقْرَأْنَ بِالسُّوْرِ"

إذ زادها في قوله (بالسور) وأصل الكلام (لا يقرآن السور) ، ويكون عندئذ فاعل (أودى) في قول عمرو بن ملقظ مضمرة للدلالة عليه وتقدير الكلام "أودى مود بنعلي" كإضماره في نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ﴾ (يوسف: ٣٥). وارجع عدم إجازته ذلك لضعفه ؛ إذ لو أضمر الفاعل في البيت وكان

- ١ . ينظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)؛ ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ط ٤، ١٤١٨ هـ. ١٩٩٧ م، ٤ / ٣٣٤
- ٢ . ينظر ضرائر الشعر ٦٤
- ٣ . ينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)؛ ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٧ هـ. ٢٠٠٦ م، ٣ / ٢٤٩
- ٤ . في نوادر أبي زيد ٢٦٧ وغير منسوب في كتاب الشعر ٤٤١ وشرح المفصل ٤ / ٢٦٨
- ٥ . ينظر كتاب الشعر ٤٤١
- ٦ . شرح التسهيل لابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله (ت ٦٧٢ هـ)؛ ت: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢، ٢٠٠٩ ، ٣ / ٢٤.٢٣
- ٧ . للراعي النميري في ديوانه ١٥٠؛ ت: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ وكتاب الشعر ٤٤٢

تقديره (مُودٍ) لا يترتب عليه عندئذ زيادة فائدة فوق ما يُحصل عليه من (أودى) بخلاف إضماره في نحو قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ ﴾ (يوسف: ٣٥)؛ لأن البداء والبُدْو بمنزلة المذهب في نحو قولهم: "ذُهِبَ بِهِ مَذْهَبٌ، وَسُئِلَ بِهِ مَسْئَلٌ". ولم يرتضِ أيضاً أن يكون الفاعل ذكراً يعود إلى ما في قوله "مهما لي الليلة"؛ لضعفه فكأنه يقول: "أودى شيءٌ بنعليّ والأشبه عنده أن تكون زيادة الباء من باب زيادتها في الفاعل^(١). وأجاز ابن هشام الأنصاري أن تكون زيادة الباء من باب زيادته في المفعول^(٢). وذهب ابن عصفور^(٣)، والمرادي (ت ٧٤٩)^(٤)، وابن هشام^(٥) إلى أن زيادتها في قول الشاعر من باب زيادتها فيه للضرورة.

ومن زيادتها أيضاً قول حميد بن ثور^(٦):

"وصهباء منها كالسَّقِينَةِ نَضَجَتْ به الحَمَلُ حتى زادَ شهراً عديداً"

فذهب إلى أن الباء في (به) زائدة وتقدير معنى الكلام (نضجته في الحمل)^(٧).

ومن الزيادة الحروف زيادة الفاء ومنه قول النمر بن تولب النميري^(٨):

"لا تَجْزَعِي إِنْ مُنْفِساً أَهْلَكْتُهُ وَإِذَا هَلَكْتُ فَعَنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي"

فذكر أن إحدى الفاعلين في قوله "فعند ذلك فاجزعي" لا تكون إلا زائدة^(٩). وقال في

البصريات في بيت النمر: "مما يكون الفاء فيه زائدة ولا يتجه على غير ذلك"^(١٠). ونقل

أبو عمر البغدادي عنه في المسائل القصرية أنه كان يقول بزيادة الفاء الأولى وأن الثانية

١. ينظر كتاب الشعر ٤٤٢

٢. ينظر مغني اللبيب ١ / ١١٤ / ١١٥

٣. ينظر ضرائر الشعر ٥٠

٤. ينظر الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، حسن بن قاسم، ت: د. طه محسن، دار الكتب، جامعة الموصل، ١١٢

٥. ينظر مغني اللبيب ١ / ١١٤

٦. ديوانه ٧٣، ت: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ. ١٩٥١م، وكتاب الشعر ٤٥٤

٧. ينظر كتاب الشعر ٤٥٥

٨. شعره ٧٢، صنعة د. نوري حمودي القيسي، بغداد ١٣٨٨هـ. ١٩٨٦، وكتاب الشعر ٣٢٦

٩. ينظر كتاب الشعر ٧٨

١٠. المسائل البصريات لأبي علي الفارسي، ت: د. محمد الشاطر أحمد محمد، مطبعة المدني، القاهرة، ط ١، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥، ٢ / ٨٩٩

للجزاء ، ثم ذكر أنه يجوّز جعل أية واحدة منها زائد^(١). وقد علل زيادة إحدى الفاعلين في كتابه الحجة بـ(أن) (إذا) لا تقتضي إلا جواباً واحداً^(٢). ومما أجاز فيه أيضاً زيادتها بين المبتدأ والخبر زيادتها في قول عديّ بن زيد^(٣):

"أرواحٌ مُودَعٌ أم بُكُورُ أنتَ فانظُرْ لأيِّ حالٍ تصيرُ"

فقد حمل "أبو علي الفارسي" قوله (أنت فانظر) على أوجه إعرابية عدة منها أن (أنت) مبتدأ خبره (فانظر) والفاء زائدة بين المبتدأ والخبر على وفق قول الأخفش (ت ٢١٥ هـ) إذ نقل عنه الفارسي^(٤)، وغيره من النحاة^(٥) أنه أجاز زيادتها بين المبتدأ والخبر في نحو (زيد فمنطلق). وقول الشاعر^(٦):

"وقائلةٍ حَوْلانٌ فانكحَ فئاتَهُمْ وأكرومةَ الحيّينِ خلُوْ كما هيا"

إذ زاد الفاء في خبر المبتدأ في قوله "حولان فانكح فئاتهم"^(٧). وجمهور النحاة لا يرون زيادتها بين المبتدأ والخبر في نحو (زيد فمنطلق)؛ لأن المبتدأ والخبر يرتبطان ارتباطاً وثيقاً لا يحتاجان معه إلى رابط يربطهما، ولكنهم أجازوا دخول الفاء في بعض أخبار الأسماء التي يلحظ فيها معنى الشرط والجزاء وذلك في أخبار الأسماء الموصولة والنكرات الموصوفة^(٨). وقد حمل سيبويه قول عدي بن زيد على وجوه أولها جميعاً على الإضمار، ف(أنت) يجوز عنده أن يكون في موضع رفع بفعل يفسره الظاهر، أو أن يكون مبتدأ وخبره مضمّر على تقدير (أنت الهالك)، أو تكون (أنت) خبراً والمبتدأ مضمّر على أن لا يكون تقدير المبتدأ (هذا أنت)؛ لأنه لا يشار إلى المخاطب إلى نفسه ولا يحتاج

١. ينظر خزانة الأدب ١/٣١٥ و١١/٣٦ وهامش كتاب الشعر ١ في ٧٨ لمحقيقه

٢. ينظر الحجة في علل القراءات السبع ١/١٣٥

٣. ديوانه ٨٤، ت: د. محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية، بغداد، ١٣٨٥ هـ. ١٩٦٥ م، والكتاب ١/٤١ وكتاب الشعر ٣٢٥

٤. ينظر كتاب الشعر ٢٩٤ و٣٢٦

٥. ينظر شرح المفصل ١/٢٥٠. ٢٥١. وشرح التسهيل ١/٣١٣. ٣١٤. والتذليل والتكميل ٤/١٠٧

٦. غير منسوب في الكتاب ١/١٣٩ و١٤٣ وكتاب الشعر ٢٧٩ و٢٩٤ وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/٤١٣

٧. ينظر كتاب الشعر ٢٧٩ و٢٩٤

٨. ينظر الكتاب ١/٤٠١. ١٠٢/٣ و١٠٣. ١٠٢/٣ والمقتضب ٣/١٩٦. ١٩٥/٣ والأصول ٢/٦٨ وشرح المفصل ١/٢٥٣. ٢٥٠/١

إلى نحو هذا ،بل يشار إلى غيره. أما قول الشاعر: "وقائلةٌ خَوْلَانُ فأنحَ فَنَاتَهُمْ....."

فقد أوله على أن (خولان) خبر لمبتدأ مضمرة كأنه قال (هذه خولان)^(١). والاختفاء في معاني القرآن موافق تماما لسبويه ولم يخالفه، قال: "إنَّ خَبَرَ المبتدأ لا يكون بالفاء لو قلت: (عبد الله فينطلق) لم يَحْسُنْ"^(٢)، وقال في قول الشاعر الذي تقدم: "كأنه قال: هؤلاء خولانُ كما تقول (الهلاك فانظر إليه)؛ كأنك قلت: (هذا الهلاك فانظر إليه) فأضمر الاسم"^(٣).

ومما أوله بزيادة الحرف زيادة الكاف في قول الشاعر^(٤):

"بَيْنَا كَذَاكَ رَأَيْتَنِي مُتَلَفِّعًا بِالْبُرْدِ فَوْقَ جَلَالَةِ سِرْدَاكِ"

إذ جوز فيه أن تكون الكاف في (كذاك) زائدة كما زيدت في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)"، و(ذاك) منجزة بها والمعنى الإضافة إليها^(٥). ونقل عبد القادر بن عمر البغدادي عن أبي حيان إعرابا آخر لأبي علي الفارسي على الوجه الذي حمل عليه زيادة الكاف، أن الكاف زائدة و(ذاك) مبتدأ خبره محذوف وتقدير الكلام: "بيننا ذاك شأنِي"^(٦)

ومن زيادة الحروف زيادة اللام الموطئة للقسم قول أمية بن أبي الصلت^(٧):

"طَعَامُهُمْ لَئِنْ أَكَلُوا مَعَنَ وَمَا إِنْ لَا تُحَاكُ لَهُمْ ثِيَابُ"

- ١ . ينظر الكتاب ١/١٣٩ و١٤١ و١٤٣ وشرح أبيات سبويه ١/٤١٣ . ٤١٥
- ٢ . معاني القرآن للأخفش، سعيد بن مسعدة، ت: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ. ١٩٩٠م، ١/٨٦ . ٨٧.
- ٣ . معاني القرآن ١ / ٨٧
- ٤ . غير منسوب في كتاب الشعر ٢٥٧ و خزنة الأدب ٧ / ٧٣
- ٥ . ينظر كتاب الشعر ٢٥٨
- ٦ . شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١٠، ١٤١٠هـ . ١٩٨٩م، ٢/١٨٠ . ١٨١ وهامش محقق كتاب الشعر ٢ ص٢٥٧
- ٧ . ديوانه ٢٢ وكتاب الشعر ٥٥ و٨٤

فلام في (لئن) زائدة والدليل على ذلك دخولها في مواضع وسقوطها في أخرى^(١). واستدل أيضا على جواز توالي زيادتين وهي (إن) و(لا) بعد (ما) النافية في قوله : وما إن لا^(٢) وبه استدل ابن جني على جواز اجتماع حرفين للتوكيد بمعنى واحد^(٣). ومما أوله "أبو علي الفارسي" على زيادة حرفين هما (ما ، و إن) في قول أبي ذؤيب الهذلي^(٤):

" فأجبتها أمّا لجسمي أنّه أودى بنيّ من البلاد فوّدعوا "

إذ ذهب إلى أن قوله (أمّا) مركبة من (أن) و (ما) وذكر فيها وجوها عدة ، منها أن تكون (أن) مخففة من (أنّ) . و(ما) زائدة فيكون تقدير المعنى عندئذ " فأجبتها بأنّه لجسمي". ومنها أن تكون (أن) هي الزائدة فيكون قوله (فأجبتها) أغنى عن أن يقال (قلت) وهذا مذهب البغداديين ، أو على إضمار القول عند غيرهم والتقدير "فأجبتها فقلت : الذي بجسمي....". فيكون (ما) اسم موصول في موضع رفع مبتدأ وخبره" أنه أودى بني....". والجملة في موضع نصب مقول القول المضمّر. ويجوز عدّ (أن) و(ما) زائدين وعليه يكون المعنى "فأجبتها فقلت : لجسمي أنه أودى بني"^(٥). ومن زيادة (ما) وحدها قول عنتره^(٦):

"لقد كذبتك نفسك فاصدقنها لَمَّا مَنَّتْكَ تَغْرِيراً قَطَامٌ"

فذكر في قوله (لَمَّا مَنَّتْكَ) وجوها عدة ،منها أن تكون (ما) زائدة فيكون المعنى (لَمَنَّتْكَ تغريراً) فيتعدى الفعل على هذا الوجه إلى مفعولين (الكاف) و(تغريراً) ، ويحتمل أن يكون نصب (تغريراً) على أنه مفعول له كأنه أراد : (مَنَّتْكَ التَّغْرِيراً)^(٧). ومثله قول ذي الرمة^(٨):

١ . ينظر كتاب الشعر ٥٥

٢ . ينظر المصدر نفسه ٨٤

٣ . ينظر الخصائص ٢ / ٣٣٨

٤ . ديوانه ٤٨، ت:د. أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية بوسعيد، ط١، ١٤٣٥ هـ. ٢٠١٤.

٥ . ينظر كتاب الشعر ٨٣ . ٨٤

٦ . شرح ديوان عنتره ١٢٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٣ هـ. ٢٠٠٢م، وكتاب الشعر ٢٢٣

٧ . ينظر كتاب الشعر ٢٢٤ . ٢٢٥

"فلا الخُرَقَ منه يَرَهْبُونَ ولا الخَنَا عليهم ولكن هيبَةً هي ما هياً"

فأجاز في قوله "ولكن هيبَةً هي ما هياً" في إحدى الأوجه التي حمل عليها معنى البيت وإعرابه أن تكون (هيبية) خبراً لمبتدأ محذوف و(ما) زائدة والمعنى "أمره هيبية هي هي" وكرر (هي) لتفخيم أمر الهيبية كما يقال : (أنت أنت) ونحوه^(١). ومن زيادة (من) قول النابغة الذبياني^(٢):

وَقَفْتُ فِيهَا أَصِيلاً أَسْأَلُهَا أَعَيْتُ جَوَاباً وَمَا بِالرَّيْعِ مِنْ أَحَدٍ

فقد زاد (من) والدليل على زيادتها هنا في هذا البيت ونحوه قولهم : " ما جاعني من أحد " إن معنى الجمع وكذلك العموم معلومان بقولهم (أحد) لا بـ (من) كما دل (رجل) في قولهم " ما جاعني رجلٌ بها" على معنى العموم، وقد اعترض أبو علي الفارسي على من أنكروا من النحويين زيادتها لحدوث معنى الكثرة بدخولها^(٤).

المبحث الثالث : التأويل بالتقديم والتأخير:

يعرف التقديم والتأخير بأنه وضع الكلمة في غير موضعها مخالفاً فيه الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه؛ إذ إن للكلام رتبا بعضها أسبق من بعضها الآخر^(٥) ، ولكنهم يلجؤون إليه لما يترتب عليه من فائدة ولاسيما إذا كان للمقدم أهمية يسعى المتكلم إيصالها للمخاطب ولذلك نجد سيبويه يقول فيه: "إِذَا يَقْدَمُونَ الَّذِي بَيَانُهُ أَهْمٌ لَهُمْ وَهُمْ بَيَانُهُ أَعْنَى وَإِنْ كَانَا جَمِيعاً يَهْمَانَهُمْ وَيَعْنِيَانَهُمْ"^(٦). وليس هذا هو الغرض الوحيد منه بل له أغراض كثيرة فصل الحديث عنها البلاغيون^(٧) ومن قبل أشار إليها النحويون في كتبهم^(٨). ويعد

١. ديوانه ٥٤٠ وكتاب الشعر ٣١٩

٢. ينظر كتاب الشعر ٣١٩

٣. ديوانه ١٤، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧، والكتاب ٣٢١/٢ وكتاب الشعر ٧٨

٤. ينظر كتاب الشعر ٧٩

٥. ينظر الجملة العربية تأليفها وأقسامها لدكتور فاضل السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط ٢٠١٤، ٣٧، ٢٠٠٧.

٦. الكتاب ١ / ٣٤ و ينظر ٥٦ و ٨١

٧. ينظر دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، ت: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م، ١٨٤، ١٧٤.

٨. ينظر الكتاب ١/٣٤ و ٤٧ و ٤٨ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٧٠/٣ وضوابط الفكر النحوي ٤٧٩، ٤٨٧.

التقديم والتأخير من أهم الوسائل التي يلجأ إليها النحويون لتأويل النصوص المخالفة لما يسمى بقواعد الترتيب . وهي التي تفرض النظام بين أجزاء التركيب . وتمكينها من تخريج هذه النصوص تخريجا ينفي التناقض عنها ويبعدها عن الاضطراب^(١) . وقد اعتمده أبو علي الفارسي في كتاب الشعر في توجيه بعض النصوص كي يستقيم المعنى والإعراب على الوجه الذي يُحْكَم به النصوص على وفق ما تقتضيه اللغة من سلامة الاعراب وصحة المعنى من ذلك ما خرج على تقديم الخبر في قول ذي الرمة الذي تقدم:

"فلا الخُرُقَ منه يَرَهْبُونَ ولا الخَنَا عليهم ولكن هيبَةً هي ما هياً"

فذكر أنه يجوز في أحد الوجوه التي حمل عليها البيت أن يكون قوله (هيبية) خيرا مقدما و(هي) مبتدأ مؤخرا، و(هي) كناية عن القصة والتقدير (ولكن قصته هيبية) وجاز إضمارها لدلالة ما تقدم عليها^(٢) . ولم يذكر المبرد عند إعرابه لهذا البيت إلا وجها واحدا في رفع (هيبية) وهو أنه خبر لمبتدأ محذوف وتقدير الكلام (ولكن أمره هيبية) على نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ﴾ (الأحقاف: ٣٥) "على تقدير (ذلك بلاغ)^(٣) . وهذا الوجه الذي ذكره المبرد ذكره أيضا "أبو علي الفارسي" بعد الوجه الذي تقدم^(٤) . ومثله على تقديم الخبر قول ذي الرمة^(٥):

"شَخْتُ الْجَزَارَةِ مِثْلُ الْبَيْتِ سَائِرُهُ من المُسْوَحِ خَدْبٌ شَوْقَبٌ خَشِبٌ"

فقوله "مِثْلُ الْبَيْتِ سَائِرُهُ" يحتمل وجهين ، أحدهما أن يكون (سائره) مبتدأ مؤخرا ، وقوله (مثل البيت) خبر مقدم وتقدير الكلام " شختُ الجزارَةِ مثلُ البيتِ من المسوح" غير أن "أبا علي الفارسي" لم يرجح هذا الوجه للفصل الواقع بين قوله(مثل البيت) وقوله (من المسوح) وهو جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ (مثل) ؛ لأن مثل نكرة موعلة في الإبهام لا تتعرف وإن أضيفت إلى معرفة ، أو يكون حالا من (البيت). وفي كلا الوجهين يكون المبتدأ فاصلا بين الجار والمجرور و(مثل البيت) ، والمبتدأ أجنبي عنه. والوجه عنده أن

١ . ينظر أصول التفكير النحوي ٢٥٠ . ٢٥١ . و ٢٨٩

٢ . ينظر كتاب الشعر ٣١٩

٣ . ينظر الكامل في اللغة والأدب للمبرد، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت

١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م ، ٢ / ٣٣٤

٤ . ينظر كتاب الشعر ٣١٩

٥ . ديوانه ٧٤ وكتاب الشعر ١٠٤ و ٢٨٦

يرتفع (سائره) على أنه فاعل (بمثل)؛ لأنه بمعنى (مماثل) فيجوز أن يعمل عمل الفعل كقولهم (قائم الزيدان) فيرتفع الزيدان بقائم وإن لم يعتمد على شيء، غير أنه في البيت أحسن ؛ لأنه قد جرى على الوصف. ويكون قوله (من المسوح) متعلقا بما في (مثل) من معنى الفعل وعندئذ لا يفصل بينه وبين (مثل) بأجنبي ؛ لأن الفاعل لا يكون كذلك عما يرتفع به^(١).

ومن ذلك تأخير الفاعل في قول ذي الرمة^(٢):

"حتى إذا زلجت عن كل حنجرَةٍ إلى الغليل ولم يقصغنه نَعْبٌ"

أراد: "زلجت نغب عن كل حنجره إلى موضع الغليل" ^(٣)، والنغب: جمع نغبة وهي الجرعة. أراد الشاعر انحدرت جرعة من الماء في حناجرها مسرعة لشدة عطشها^(٤).

ومما تأوله على تأخير الصفة قول أبي ذؤيب الهذلي^(٥):

"ولكن فتى لم تخش منه فجيعَةٌ حديثاً ولا فيما مضى أنت وامق"

فالكلام فيه على تقدير "ولكن فتى أنت وامقه... فأخر الجملة الواقعة صفة (أنت وامق) وحذف منها الضمير العائد على الموصوف^(٦). وهذا الذي ذهب إليه "أبو علي الفارسي" هو أحد الوجهين اللذين جوزهما السكري (ت٢٧٥هـ) في شرح البيت^(٧)، والوجه الآخر الذي خرج به السكري فهو على الاستئناف كأنه قال: "لم تخش منه فجيعه حديثاً ، ولا أيضا فيما مضى، ثم ابتداء فقال : وهو لك وامق"^(٨).

ومما أوله على التأخير تأخير صلة الاسم الموصول في قول الفرزدق^(٩):

"وإني لرامٍ نَظْرَةٌ قَبْلَ التِّي لَعْلِي وإن شَطَطَتْ نَوَاهَا أَوْزُورُهَا"

١ . ينظر كتاب الشعر ١٠٤ و ٢٨٦

٢ . ديوانه ٦٧ وكتاب الشعر ٩٩

٣ . ينظر كتاب الشعر ٩٩

٤ . ينظر تهذيب اللغة ١٠ / ٣٢٧

٥ . ديوانه ٩١ وفيه وفي شرح اشعار الهذليين الآتي (لاحق) بدلا من (وامق) وفيهما إشارة إلى رواية (وامق)، وكتاب الشعر ٩٨

٦ . ينظر كتاب الشعر ٩٨

٧ . ينظر شرح أشعار الهذليين، السكري، أبي سعيد الحسن بن الحسين، ت:عبد الستار أحمد فراج، راجعه: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة ، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م ، ١٥٨

٨ . المصدر نفسه ١٥٨

٩ . ديوانه ٦٦١ وكتاب الشعر ٤٠٠

فهو وإن لم يرتض أن تكون صلة (التي) (أزورها) المتأخرة؛ لأنه خبر (لعل) ولا يجوز أن يتقدم عليه إلا أن (أزورها) سد مسد صلة الموصل فكأنه أراد (التي أزورها) على معنى التقديم . وقد أشبه هذا سد الفعل في صلة (أن) في قولهم : (لو أن عمرا جاعني) مسد الفعل الذي يقع بعد (لو) قبل (أن) ، ولولا الفعل هذا لم يجز الكلام ، فلا يجوز أن يقال : (لو مجيئك) ، وكذلك سد خبر (لعل) مسد صلة (التي) على نية التقديم . وهذا عنده لا يقاس عليه وإنما حسن لطول الكلام ، واشتمال الصلة على ذكر الجزاء. وقد جوّز فيه وجها آخر هو أن تكون الصلة محذوفة لطول الكلام والتقدير (التي أقول فيها)^(١). وإلى هذا القول الأخير ذهب غير واحد من النحاة^(٢). وذهب بعضهم إلى أن صلة (التي) هي (أزورها) المتأخرة وخبر (لعل) محذوف وتقدير الكلام " قبل التي أزورها وإن شطت نواها لعلي أبلغ ذلك"^(٣).

وقد يؤول النص على تأخير الحال ومنه قول ذي الرمة^(٤):

"عينا مطحلبة الأرجاء طاميةً فيها الضفادعُ والحيتانُ تصطخبُ"

ف (تصطخب) جملة في موضع نصب حال من (الضفادع) كأنه قال (فيها الضفادعُ مصطخبةٌ والحيتانُ..) على تقدير "وفيهما الحيتان أيضاً" فحذف الخبر^(٥). وإنما خرجه على أن تصطخب حال من الضفادع مؤخرة ؛ لأنها هي التي تصطخب ولا تكون الحيتان كذلك^(٦). وقد أنكر بعضهم رواية تصطخب بالخاء ؛ لأنه ليس للسمك صوت وإنما الرواية بالحاء تصطخب أي تتجاوز^(٧). "وأبو علي الفارسي" اعترض على من رواها بالحاء

١ . ينظر كتاب الشعر ٤٠١ . ٤٠٢

٢ . ينظر اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري، أبي البقاء عبد الله بن الحسين(ت ٦١٦ هـ)، ت: د. عبد الإله النبهان، مطبوعات جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦ هـ. ١٩٩٥م، ١١٨/٢ والتذييل والتكميل ٣/١٠، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٢٠٠٠م، ومغني اللبيب ٥٠٧

٣ . ينظر التذييل والتكميل ٣ / ١٠

٤ . ديوانه ٦٦ وكتاب الشعر ١٠٠

٥ . ينظر كتاب الشعر ١٠٠

٦ . ينظر هامش محقق كتاب الشعر ٣ ص ١٠٠

٧ . ينظر التنبيه على حدوث التصحيف للأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠ هـ)، ت: محمد أسعد طلس، مراجعة: أسماء الحمصي وعبد المعين الملوحي، دار صادر بأذن من المجمع العلمي

وذكر أن ما دعا هؤلاء إلى هذه الرواية منكرين روايتها بالخاء لأنه خفي عليهم المعنى الذي ذهب إليه من تأخير الحال وإن الكلام على نية التقديم^(١).

ومن تقديم الحال على صاحبها قول صخر الغي الهذلي^(٢):

"إِشْمَاءَ بَعْدَ شَنَاتِ النَّوَى وَقَدِ بَتُّ أُخِلْتُ بَرَقًا وَلِيْفَا"

فأول قوله (قد بت) على أنه في موضع نصب حال مقدم متعلق بـ (أخليت) وتقدير الكلام (أخليت

البرق بانثاء) وفي هذا دليل على جواز تقديم الحال مفردة أو جملة^(٣).

ومنه قول ذي الرمة^(٤):

"هَزِيمٌ كَأَنَّ الْبُلُقَ فِي حَجْرَاتِهِ تَحَامِينٌ أَمْهَارًا فَهِنَّ ضَوَارِحُ"

فقد وجه فيه قوله (في حجراته) من حيث الإعراب والمعنى على أكثر من وجه منها أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من (أمهار) تقدم عليه والتقدير عنده على الأصل "تحامين أمهاراً في حجراته" فكان في الأصل صفة له فلما تقدم انتصب على الحال، على حد قول كثير^(٥):

"لِعَرَّةٍ مَوْحِشًا ظَلُّ يَلُوحُ كَأَنَّهُ خِلُّ"

فـ (موحش) نعت لظلل في الأصل فلما قدم انتصب على الحال^(٦).

المبحث الرابع : الحمل على المعنى.:

بدمشق، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م، ٦٥، ٦٦، وغيره من كتب التصحيف والتحريف ينظر هامش

محقق كتاب الشعر ٤ ص ١٠٠

١. ينظر كتاب الشعر ١٠٠

٢. في شرح أشعار الهذليين ٢٩٤ وغير منسوب في كتاب الشعر ٣٣٧

٣. ينظر كتاب الشعر ٣٣٧ أنكر الكوفيون جواز تقديم الحال وفيه تفصيل ينظر الاصول في النحو لابن السراج، أبي بكر محمد بن سهل (ت٣١٦هـ)، ت: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م، ٢/٢١٥، والأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري، محمد بن أبي سعيد (ت٥٧٧هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،

١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م، ١/٢٠٣م ٣١

٤. ديوانه ١٢٣ وغير منسوب في كتاب الشعر ٢١٩

٥. ديوانه ٥٠٦، ت: د. إحسان عباس، بيروت ١٣٩١هـ. ١٩٧١م وغير منسوب في كتاب الشعر ٢٢٠

٦. ينظر كتاب الشعر ٢١٩. ٢٢٠

الأصل في الكلام حمله على اللفظ فإن لم يستقم حُمل على المعنى، فإن اجتمع الحملان فُدم الحمل على اللفظ. ولا يبدأ بتأويل الكلام بحمله على المعنى بل بحمله على اللفظ^(١)؛ وذلك لأن الدلالة اللفظية مقدمة على الدلالة المعنوية من جهة كونها أقوى منها وسابقة عليها^(٢). وإنما يلجأ النحاة إلى حمل الكلام على المعنى لورود نصوص مخالفة للقواعد التي وضعوها بعد استقرائهم لكلام العرب فكان لابد من تأويلها على نحو يجعلها تنظم وتلك القواعد^(٣). غير أن ما يُحمل على هذا النوع من التأويل نصوص كثيرة جاءت في القرآن الكريم وفصيح الكلام منثور ومنظوم. كتذكير المؤنث وتأنيث المذكر، وحمل المفرد على الجمع وحمل الجمع على المفرد وغير ذلك كثير^(٤)، وقد جاء في كتاب الشعر منه جملة ليست بالقليلة وجه في ضوئها "أبو علي الفارسي" نصوصاً من فصيح الكلام. وإنما ألجأه إلى ذلك صحة الإعراب والمعنى ولو حَمَل هذه النصوص على ظاهرها لأختل المعنى والإعراب معا. وقد جاءت على صور منها حمل المفرد على المثني أو العكس ومنه قول الفرزدق^(٥):

"يداك يدٌ إحداهما النَّيْلُ كُلُّهُ وراحتُك الأخرى طِعَانٌ تُغَامِرُهُ"

فذهب إلى أن (يدا) في البيت وإن جاء لفظها مفرد إلا أنه أرد بها التثنية فكأنه قال: (يداك يدان..) ولا يمكن حمل الكلام على ظاهر اللفظ وهو الإفراد؛ لأنها إن جعلت خبر لليدين لم يستقم لأن المبتدأ مثني وخبره لا بد أن يطابقه فيكون مثني كذلك. وعليه لا بد من حمله على المعنى وهو أن يكون المراد به التثنية فكأنه قال: "يداك يدان أحدهما كذا ولأخرى كذا". وقوله: "أحدهما النيل كله" في موضع رفع صفة لـ (يد) النكرة. وقد عاد الضمير من جملة الصفة بلفظ المثني وفي هذا دليل على أن الشاعر أرد بـ(يد) حملها على المعنى دون اللفظ. وإن جُعِلت (يد) مبتدأ لم يجز أن يقال: "يد أحدهما كذا" كما لا

١. دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عزيمة، دار الحديث، القاهرة، ١٩٧٢، ٣ / ٢٨٦

٢. ينظر الخصائص ٢ / ٣٢٨ - ٣٢٩

٣. ينظر أصول التفكير النحوي ٣٠٠ وما بعدها

٤. ينظر الخصائص ٢ / ١٨٠

٥. ديوانه ٣٤٢ وكتاب الشعر ١٩٦ و٢٠٩ و٣٠٨

يقال: (عمرو أحدهما كذا) بل يقال: (العمران أحدهما خارج...). فلما لم يجز حملها في كلا الوجهين على ظاهر اللفظ كان لا بد من حملها على المعنى وهو لإرادة التنثية^(١). ومثله قول امرئ القيس^(٢):

"وَعَيْنٌ لَهُ حُدْرَةٌ بَدْرَةٌ شُقَّتْ مَأْقِيهِمَا مِنْ أُخْرٍ"

فالشاعر ذكر لفظ (عين) مفردة وأراد بها (العينين) بدليل قوله: (شقت مأقيهما...). جاء بها بلفظ المثني حملا على المعنى^(٣). ومنه قول الراجز^(٤):

"تَأْمَلِ الْقَرْنَيْنِ وَانظُرْ مَا هُمَا أَحَجْرًا أَمْ مَدْرًا تَرَاهُمَا"

فتنى قوله (تراهما) حملا على المعنى؛ لأن الحجر والمدر المذكورين هما القرنان المتقدم ذكره عليهما ولو جاء على الأصل لقال: "أحجرا أم مدرا تراه"؛ لأنه لا يقال: "أزيد أم عمرا ضربتهما" بل يقال: ضربته، وكذا نحوه^(٥). ومن حمله الكلام مرة على المعنى وأخرى على اللفظ في نحو هذا الموضع قول الفرزدق^(٦):

"كِلَاهُمَا حِينَ جَدَّ الْجَزْيُ بَيْنَهُمَا قَدْ أَقْلَعَا وَكِلَا أَنْفِيهِمَا رَابِي"

فذكر أن قوله: "كلاهما قد اقلعا" محمول على المعنى على حين حمل قوله: "كلا أنفيهما رابي" على اللفظ؛ إذ إن لفظ (كلا) مفرد ومعناه مثني لذا جاز حمل الكلام في الموضع الأول على المعنى وفي الآخر على اللفظ كما حمل (كل) في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٩٣)، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَجَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهَ دَاخِرِينَ﴾ (النمل: ٨٧) إذ إن لفظ (كل) مفرد ومعناه جمع فروعى لفظها

١. ينظر كتاب الشعر ٢٠٩.

٢. ديوانه ١٦٦ وكتاب الشعر ٢١١.

٣. ينظر كتاب الشعر ٢١١ و٣٠٨.

٤. في نوادر أبي زيد ٤٧٧ وكتاب الشعر ٢١٢.

٥. ينظر كتاب الشعر ٢١٢.

٦. ديوانه ٣٤ و نوادر أبي زيد ٤٥٣ وكتاب الشعر ١٢٨.

أثر التأويل النحوي في توجيه المعنى والإعراب في كتاب الشعر لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) م.د. وسام يعقوب هلال

في الآية الأولى ومعناها في الآية الأخرى^(١). على أن بين النحاة خلافاً في ذلك فما ذهب ذهب إليه "أبو علي الفارسي" هو مذهب البصريين، والكوفيون يذهبون إلى أن لفظ (كل) ومعناها مثى ولكلا الفريقين ما يستدل به على صحة مذهبه^(٢).

ومن الحمل على المعنى حمل المذكر على المؤنث أو العكس فمما حمل فيه المذكر على المؤنث قول الشاعر^(٣):

"ألا هلك الشهابُ المستنيرُ
ومدْرهُنا الهمامُ إذا نُغِيرُ
وحَمالُ الميِّينِ إذا أَلَمَّتْ
بنا الحدَثانُ والأَنفُ النَّصُورُ"

فقال: "ألمت بنا الحدَثان" فأسند الفعل المتصلة به تاء التأنيث إلى الحدَثان. والحدَثان مذكر ولكنه لما أراد به الكثرة كان بمعنى الحوادث فراعى الشاعر المعنى فحمله على ذلك وأسند إليه الفعل مؤنثاً^(٤).
ومنه قول الشاعر^(٥):

"فَقَلْتُ لَهُ لا وَالذِي حَجَّ حَاتِمٌ
أخُونُكَ عَهْدًا إِنَّنِي غَيْرُ خَوَّانٍ"

ذهب "أبو علي الفارسي" إلى أنه قد يريد بقوله (الذي) الكعبة المكرمة لكنه جاء بلفظ المذكر حملاً على المعنى فكأنه أراد البيت أو المسجد الحرام^(٦). ومنه قول المنتخل الهذلي^(٧):

السَّالِكُ الشُّعْرَةَ اليَقْظَانَ كَالِئِهَا
مَشَى الهَلُوكِ عَلَيْهَا الخَيْعَلُ الفُضْلُ

- ١ . ينظر كتاب الشعر ١٢٨ . ١٢٩ والمسائل الشيرازيات لأبي علي الفارسي، ت: د. حسن هندايي، كنوز إشبيلية، الرياض، ط ١، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٤ م ، ٢ / ٤١٨ . ٤١٩
- ٢ . ينظر الشيرازيات / ٢ / ٤١٣ . ٤١٤ والانصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٣٦٨ م ٦٢ وشرح المفصل ١ / ١٥٨ . ١٦١
- ٣ . البيتان غير منسوبين في كتاب الشعر ٥٣٠ والانصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٦٣١ . ٦٣٢ م ١١١
- ٤ . ينظر كتاب الشعر ٥٣٠ والانصاف ٢ / ٦٣٢ م ١١١
- ٥ . للعريان بن سهلة الجرمي في نوادر أبي زيد ٢٧٢ وغير منسوب في كتاب الشعر ٣٩٤ والتذييل والتكميل ٣ / ٨٢
- ٦ . ينظر كتاب الشعر ٣٩٥
- ٧ . شرح أشعار الهذليين ١٢٨١ وكتاب الشعر ٤٣٤ وفيه منسوب لبعض الهذليين

فأجاز فيه في قوله " النَّعْرَةُ الْيَقْظَانُ" على من نصب (كالثَّغْرُ)، أن يكون اليقظان وصف للثغرة مع أن اليقظان صفة للرجل فهو مذكر والثغرة مؤنث لكنه أجازه على الاتساع كأنه قال: "ثَغْرَةٌ يَقْظَانٌ" وهو يريد يُتَّقِظُ فيها وذلك لشدة الخوف كما قيل "لَيْلٌ نَائِمٌ" يراد: ينام فيه. ولما كانت الثغرة والثغر بمعنى واحد كونهما يطلقان على الموضع وصف الثغرة باليقظان حملا على المعنى^(١).

ومما حمل فيه المؤنث على المذكر قول الأعشى^(٢):

"ما بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسْؤَالِي وَمَا يَزُدُّ سْؤَالِي

بِمِنَّةٍ فَفَرَّةٌ تَعَاوَرَهَا الصَّيْفُ بَرِيحِينَ مِنْ صَبَاً وَشَمَالٍ"

فذكر فيه غير وجه، أحدها أن تكون (دمنة) في البيت الآخر فاعلا للفعل (بَرَدُ) في البيت الأول مع أن (دمنة) لفظها مؤنث والفعل جاء بلفظ المذكر حملا على المعنى، وذكر أبو علي أنه يجوز أن يقال (ترد) بالتاء بلفظ المؤنث^(٣). وهي رواية أخرى للبيت وبها جاء البيت في الديوان^(٤).

ومنه قول امرئ القيس^(٥):

فَتَوَضَّحَ فَالْمِقْرَةَ لَمْ يَغْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَالٍ

ففي (لما نسجتها) وجوها عدة ذكرها "أبو علي الفارسي"^(٦) أحدها " أن يكون فاعل (نسجت) ضمير (ما)، وأنت على المعنى، كما قالوا: (ما جاءت حاجتك) ، فأنت ضمير (ما) حيث كانت الحاجة في المعنى"^(٧)؛ وذلك لأن (ما) وإن كان لفظها مفردا مذكرا إلا

١ . ينظر كتاب الشعر ٤٣٥

٢ . ديوانه ١٣٨ وكتاب الشعر ٥٠٨

٣ . ينظر كتاب الشعر ٥٠٨

٤ . ينظر الديوان ١٣٨

٥ . ديوانه ٨ وكتاب الشعر ٤٦٧

٦ . ينظر كتاب الشعر ٤٦٧ . ٤٦٨

٧ . المصدر نفسه ٤٦٨

أنه يأتي في معنى المؤنث والمثنى والجمع فيكون بلفظ واحد لجميع ما تقدم، فإذا أنت ما يعود عليه فيكون عندئذ قد حملة على المعنى^(١).

ومما حمل على المعنى عودة الضمير من جملة الصلة على الموصول بغير ما يستحقه من ذلك قول حميد بن ثور الهلالي^(٢):

أَنْتِ الْهَلَالِيُّ الَّذِي كُنْتِ مَرَّةً سَمِعْنَا بِهِ وَالْأَرْحَبِيُّ الْمَعْلَفُ

فحمل بعض الصلة على المعنى وبعضها على اللفظ، فقوله (كنت مرة) جاء به بلفظ الخطاب حملا على المعنى كونه قال في أول الكلام (أنت) . وقوله (سمعنا به) جاء به بضمير الغيبة حملا على لفظ (الذي) وهو الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه الكلام^(٣)؛ لأن لفظ (الذي) للغيبة فينبغي أن يكون ما يعود عليه للغيبة أيضا. ومثله أيضا مما حملة على المعنى، واللفظ يقتضي غير ذلك قول القتال الكلابي^(٤):

انْتِشَالَا ثُمَّ دَعَوْتُ فِتْيَةَ أَزْوَالَا

وقول المهلهل^(٥):

وَأَنَا الَّذِي قَتَلْتُ بَكْرًا بِالْقَنَا وَتَرَكْتُ تَغْلِبَ غَيْرِ ذَاتِ سَنَامِ

وقول جرير^(٦):

نَحْنُ الَّذِينَ هَزَمْنَا جَيْشَ ذِي نَجَبٍ وَالْمُنْدَرِينَ اقْتَسَرْنَا يَوْمَ قَابُوسِ

فأجري الضمير في الأبيات الثلاثة على غير ما يقتضيه أصل الكلام، والأصل أن يجري الضمير العائد من صلة الموصول في المواضع الثلاثة بلفظ الغائب إذ إن وجه الكلام أن يقال (أنا الذي انتشلتها...)، و(أنا الذي قتلت...)، و(نحن الذين هزم...) غير أنه جيء بضمير المتكلم في المواضع الثلاثة حملا على المعنى؛ وسوغ ذلك مجيء ضمير المتكلم

١ . ينظر الكتاب ١/٥٠٠ ومعاني القرآن للأخفش ١/٣٧ والأصول في النحو ٢/٣٥٨ والتذييل والتكميل ٣/١٠٧.١٠٨

٢ . في كتاب الشعر ٣٩٨ وغير موجود في ديوانه ، ينظر هامش محقق كتاب الشعر ٥ ص ٣٩٨

٣ . ينظر كتاب الشعر ٣٩٨

٤ . ديوانه ٨٤ ، ت: د. إحسان عباس، بيروت، ١٣٨١ هـ. ١٩٦١ م، وغير منسوب في كتاب الشعر ٣٩٩

٥ . في المقتضب ٤/١٣٢ وغير منسوب في الأصول ٢/٣٠٩ وكتاب الشعر ٤٠٠ وشرح المفصل ٢/٤٣١

٦ . ديوانه ١٣٠ ، ت: د. نعمان طه، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩ م، وكتاب الشعر ٤٠٠

قبل الاسم الموصول^(١). وقد سبقه إلى هذا في قول المهلهل وغيره المبرد^(٢)، وابن السراج^(٣)، وإليه ذهب ابن يعيش^(٤).

ومما حمل على المعنى تقدير عامل المعمول من ذلك تعلق الظرف بعامل مقدر حملا على المعنى كقول عمران بن حطان^(٥):

"يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمينٍ وإن أتيتُ معدياً فعدناني"

فذهب "أبو علي الفارسي" إلى أن الظرف (يوماً) لا يتعلق بقوله (يمان) الذي هو خير لمبتدأ محذوف تقديره (أنا يمان) بل متعلق بمقدر محمول على المعنى، وتقدير الكلام "انتقل يوماً إذا لاقيت..."^(٦).

ومنه قول عدي بن زيد^(٧):

"وحبي بعد الهدوُّ تُهاديه شمالاً كما يُرَجِّي الكسير"

فذكر أن الظرف (بعد الهدوُّ) يمكن أن يحمل في تعلقه بعامله على أكثر من وجه، أحدها أن يكون متعلقاً بمعنى الفعل الذي في قوله (حبي)؛ لأنه من حبا يحبو، بمعنى يدنو بعضه من بعض وينضم فيكون كـ(الأبرق) وهو اللون الذي فيه حمرة وسواد وبياض، و(الأبطح) وهو المكان المنبسط في الوادي، فإنه وإن استعمل كل واحد مهما استعمال الأسماء وجمعا جمع تكسير إلا أنه لم يُزل عنهما ما فيهما من معنى الوصف فلم يصرفا لذلك؛ ولما فيهما من معنى الصفة تعلق بهما ونحوهما الظرف والحال، فكذلك (حبي) في البيت جاز على وجه تعلق (بعد...) به حملا على ما فيه من معنى الفعل^(٨).

١. ينظر كتاب الشعر ٤٠٠.

٢. ينظر المقتضب ١٣١، ١٣٢.

٣. ينظر الأصول ٢/٣٠٩.

٤. ينظر شرح المفصل ٢/٤٣٢، ٤٣١.

٥. شعر الخوارج ٢٣، جمع وتحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٣م، وكتاب الشعر ٢٤٩.

٦. ينظر كتاب الشعر ٢٤٩.

٧. ديوانه ٨٦ وكتاب الشعر ٢٤٨.

٨. ينظر كتاب الشعر ٢٤٨، ٢٤٩ وهامش محققه ١ ص ٢٤٩.

ومن الحمل على المعنى توجيه رفع الاسم المعطوف على المستثنى المنصوب وذلك في نحو تقدير عامل الرفع في (مجلف) في قول الفرزدق^(١):

"وَعَضَّ رَمَانٍ يَا بَنَ مِرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا"

فقدر أبو علي عامل الرفع في (مجلف) حملا على المعنى؛ لأن من نصب (مسحتا) كأنه قال: " لم يترك من المال إلا مسحتا" والمعنى لم يبقَ إلا مسحتٌ ، فحمل مجلفا عليه كأنه قال: " ولم يبقَ إلا مُجْلَفٌ"^(٢).

وهذا الذي ذهب إليه أحد الأوجه التي ذهب إليها النحاة في توجيه رفع (مجلف)^(٣). ومثله قول الشاعر^(٤):

"بَادَتْ وَغَيَّرَ آيَهُنَّ مَعَ الْبَلَى إِلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءً
وَمُشَجِّجٌ أَمَّا سَوَاءٌ قَدَالِهِ فَبَدَا وَغَيَّرَ سَارَهُ الْمَغْرَاءُ"

فجاء لفظ (مشجج) مرفوعا وهو معطوف على (رواكِد) المنصوب على الاستثناء، وكان حق الكلام

نصب (مشجج)؛ كونه معطوفا على منصوب إلا أنه رفعه حملا على المعنى لأن معنى (بادت إلا

رواكِد) : بها رواكِد ، فرفع (مشجج) على ذلك المعنى كأنه قال: (وبها مشجج)^(٥). ومثله أيضا قول كعب بن زهير^(٦):

"فَلَمْ يَجِدَا إِلَّا مَنَاخَ مَطِيَّةٍ تَجَافَى بِهَا زَوْرٌ نَبِيلٌ وَكُلُّلٌ
وَمَفْحَصَهَا عَنْهَا الْحَصَى بِجَرَانِهَا وَمَتْنَى نَوَاحٍ لَمْ يَخْنُهَا مَفْصِلٌ
وَسُمُرٌ ظِمَاءٌ وَاتْرَثْنَهُنَّ بَعْدَمَا مَضَتْ هَجْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ذُبُلٌ"

- ١ . ديوانه ٥٥٦ وكتاب الشعر ٣١٣ و٥٣٨ والانصاف في مسائل الخلاف ١٥٣/١ م ٢٣
- ٢ . ينظر كتاب الشعر ٣١٣ و٥٣٨
- ٣ . ينظر التذييل والتكميل ٦ / ٢١٤ وخزانة الأدب ٥ / ١٤٤ . ١٥٣
- ٤ . غير منسوبين في الكتاب ١ / ١٧٣ . ١٧٤ وكتاب الشعر ٥٣٩
- ٥ . ينظر كتاب الشعر ٥٣٩
- ٦ . ديوانه ٥٤ . ٥٢ ، دار الكتب المصرية، ١٣٦٩ هـ . ١٩٥٠ م، والكتاب ١ / ١٧٣ وغير منسوبة في كتاب الشعر ٥٣٩

فرفع (سمرا) المعطوفة على (مناخ مطية)؛ لأن قوله: " فلم يجدا إلا مُنَاخَ مَطِيَّةٍ ... " بمعنى " بها مُنَاخُ مَطِيَّةٍ " فرفع المعطوف عليه وهي (سمر) حملا على هذا المعنى فكأنه قال: (بها مُنَاخُ مَطِيَّةٍ وبها سمرٌ)^(١). وهذا الذي خرج عليه قول كعب بن زهير سبقه إليه سيويوه وغيره من النحاة^(٢).

المبحث الخامس : تأويل لفظ بلفظ آخر :

وهو أن يؤول الكلام بأن لفظة ما فيه موضوعة موضع أخرى ، وقد جاء هذا في مواضع من كتاب الشعر في الأفعال والأسماء. فمما جاء في الأفعال تأويل الفعل بفعل آخر ومنه قول أمية بن أبي الصلت^(٣): "وترى شياطيناً تزوغُ مُضَافَةً ورواغها ضَمِنَ إذا ما تُطرُدُ"

ف (ترى) هنا استعمل بمعنى (تعلم)؛ لأن الشياطين لا ترى بالعين ، بل تعلم بخبر الصادقين^(٤).

ومنه قول أبي دؤاد الأيادي^(٥):

"ألا مَنْ رَأَى لِي رَأْيِي بَرَقَ شَرِيْقٍ أَسَالَ الْبِحَارَ فَانْتَحَى لِلْعَفِيْقِ
إذا ما أقولُ أَوْسَعَ الْأَرْضِ كُلَّهَا تَلَأَلَا فِي مَخِيْلَةٍ وَخُفُوْقِ"

فالفعل (أقول) في قوله: " إذا ما أقولُ أَوْسَعَ الْأَرْضِ " يحتمل فيما ذهب إليه أبو علي الفارسي " أن يكون معناه ما دل لفظه عليه، أو يكون استعمله بمعنى (أظن) كأنه قال: " إذا ما أظن السحاب أوسع... ". أو يكون قد استعمله بمعنى (أقدر) كأنه قال: " إذا أقدر أوسع... " فيكون مثل قول الحطيئة^(٦):

- ١ . ينظر كتاب الشعر ٥٣٩ والحجة في علل القراءات السبع ٤١٤.٤١٣/٢ و ٤٠٧ /٤ و ٤٠٨.
- ٢ . ينظر الكتاب ١/١٧٢.١٧٤ ومعاني القرآن وإعراجه للزجاج، أبو إسحق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، ت: د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م، ١/٢٢٠ ، وإعراجه القرآن لأبي جعفر النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨هـ)، ت: الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، ط ١٤٢٧هـ، ١. ٢٠٠٦م، ١/٨١ و ١٠٨٧. ١٠٨٨.
- ٣ . ديوانه ٥٤ وغير منسوب في كتاب الشعر ٢٣٥
- ٤ . ينظر كتاب الشعر ٢٣٥
- ٥ . سبق تخريجه
- ٦ . ديوانه ٢٢٥، بشرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، ط ١٤٢٩هـ، ٢. ٢٠٠٨م، وكتاب الشعر ٥٩

"إِذَا قُلْتُ أَنِّي آيِبٌ أَهْلَ بَلَدَةٍ رَفَعْتُ بِهَا عَنْهَا الْوَلِيَّةَ بِالْهَجْرِ"

على تقدير " إِذَا قَدَّرْتُ إِتْيَانَ بَلَدَةٍ "(١).

ومن هذا الباب تأويل الفعل موضع الاسم ومنه قول أبي ذؤاد الذي تقدم إن حُمِلَ البيت على تقدير " إِذَا أَظُنُّ أَنْ أَوْسَعُ ... " على تقدير حذف (أَنْ) فكان في تأويل مصدر (٢).
ومنه قول الشاعر (٣):

"وَلَا يَلْبِثُ الْحُرُّ الْكَرِيمُ إِذَا أَرْتَمْتَ بِهِ الْجَمْرِيَّ قَدْ شَدَّ حَيْزُومَهَا الضَّفْرُ"

سَيَكْسِبُ مَا لَّا أَوْ يَفِيءُ لَهُ الْغَنَى إِذَا لَمْ تُعَجِّلْهُ الْمَنِيَّةُ وَالْقَدْرُ"

فوضع الفعل (سيكسب ما لا) موضع الاسم على تقدير حذف (أَنْ) الناصبة؛ لأنه لا يستقيم مجيؤها مع السين، وليس على تقدير حذف (أَنْ) المخففة لأنه لم يعلم حذفها في هذا الموضع، ولا يمكن تقديره على الحال بسبب السين كونها للاستقبال، فلم يبق إلا أنه وضع الفعل موضع الاسم وهو المصدر كونه معمول يلبث على معنى: "لا يلبث عن أن يكسب ما لا" (٤). وقد اعترض ابن عصفور بقوله: "ولا دليل له في ذلك عندي على وضع الفعل موضع الاسم لاحتمال أن يكون معمول (يلبث) محذوفا والتقدير: ولا يلبث الحر الكريم إذا ارتمت به الجمري قد شد حيزومها الضفر عن إدراك المنى، ثم استأنف فقال: سيكسب ما لا أو يفيء له الغنى" (٥).

ومثله قول عروة بن الورد (٦):

"فَقَالُوا مَا تَشَاءُ فَقُلْتُ أَلْهُو إِلَى الْإِصْبَاحِ آثِرًا ذِي أَثِيرٍ"

فوضع الفعل (ألهو) موضع المصدر (اللهو) لا على تقدير حذف (أَنْ) (٧). قال السيوطي: "ولم يحمل على حذف أن ... لأن قوله ما تشاء؟ سؤال عما يشاء في الحال، لا الاستقبال. ولو حمل على حذفها لكان مُسْتَقْبَلًا فلا يطابق السؤال. واعترض بجواز أن

١. ينظر كتاب الشعر ٤٥٩ وينظر أيضا التذييل والتكميل ١٤٢/٦

٢. ينظر كتاب الشعر ٤٥٩

٣. في نوادر أبي زيد لرجل من طيء وغير منسوب في كتاب الشعر ٤٦٠

٤. ينظر كتاب الشعر ٤٦٠

٥. ضرائر الشعر ٢٠٥

٦. ديوانه ٥٧ وغير منسوب في كتاب الشعر ٤٦٠ وشرح المفصل ٨١/٢ و ١٨٠

٧. ينظر كتاب الشعر ٤٦٠ وينظر أيضا شرح المفصل ٨١/٢ و ١٨٠ وهمع الهوامع ٢٧/١ و ٢٨

يُراد: أشياء في الحال اللّهوّ في الاستقبال، ودُفِعَ بأن قوله في تمامه (إلى الإصباح آثر ذي أثير) يمنع ذلك ^(١).

وقد يوضع الاسم موضع اسم آخر ومنه وضع المصدر موضع اسم الفاعل كقول أمية بن أبي الصلت الذي تقدم:

"وترى شياطيناً تزوغُ مضافةً ورواغها ضمناً إذا ما تُطردُ"

فوضع (ضمن) موضع (ضامن) الذي يقتضيه القياس؛ وذلك لأن (فعل) إنما يكون في الصفات الخلفية والغرائز الثابتة المستقرة، والكلام في البيت للاستقبال فكان حقه أن يقول (ضامن) كما في قولهم: "بعيرك صائدٌ غداً وعينه عاورَةٌ بعد غد" ونحوه، ولكن جعله على الحكاية لما يصير إليه في المستقبل على نحو قوله تعالى: ﴿وَأَدَّى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف: ٥٠) وهو لم يحصل بعد ^(٢).

ومنه وضع المصدر موضع اسم المفعول كقول أبي كبير الهذلي ^(٣):

"في رأسٍ مُشْرِفةٍ القَدَالِ كأنما أطرُ السحابِ بها يبيضُ المجدلُ"

فجاء بالمصدر وهو (أطر السحاب) وهو انحنأؤه، وهو يريد اسم المفعول (المأطور) أي: (مأطور السحاب) فسمي به على نحو تسمية المخلوق: خَلْقاً ^(٤).
ومنه قول ذي الرمة ^(٥):

"كلُّ من المنظرِ الأعلى له شَبَبَةٌ هذا وهذانِ قَدُ الجِسمِ والنُّقْبُ"

فوضع المصدر (قَدُ) موضع اسم المفعول وهو يريد (مقدود الأجسام)؛ لأنه يريد بالجسم الأجسام كأنه قال: هم سواء في الأجسام ^(٦).

١ . همع الهوامع ٢٨/١

٢ . ينظر كتاب الشعر ٢٣٥ . ٢٣٦

٣ . في شرح أشعار الهذليين ١٠٧٦ وكتاب الشعر ٢١٨

٤ . ينظر كتاب الشعر ٢١٨

٥ . ديوانه ٧٦ وكتاب الشعر ٢٧٦

٦ . ينظر كتاب الشعر ٢٧٨

ومنه وضع المصدر موضع الظرف كقول العجاج^(١):

"كَأَنَّمَا يُجَلِّبُ أَنْ يُورَعَا"

فأن والفعل في تأويل مصدر موضوع موضع الظرف وتقدير الكلام " كأنما يجلب التوريع"، أي وقت التوريع فهو عنده مثل قولهم: "مَقَدَّمُ الحَاجِ ، وخفوق النجم، وخلافة فلان" فهذه المصادر جعلت ظروفًا^(٢).

ومنه وضع المصدر موضع الحال كقول رؤبة بن العجاج^(٣):

"كَذَاتِ أَحْرَانٍ أَرَا حَتْ فَفَدَا يُهَيِّجُ اللَّيْلُ عَلَيْهَا وَجَدَا"

فيجوز على أحد وجهين ذكرهما الفارسي أن يكون (الفقد) مصدرا وضعه موضع الحال على قول من قاس ذلك ، وحذف الشاعر المفعول وتقدير الكلام " يريح الحزن فاقدة"^(٤). هذه أهم ما جاء في التأويل اللفظ بلفظ آخر.

الخاتمة

وفي الختام توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١. إن التأويل من أهم وسائل التحليل النحوي التي اعتمدها أبو علي الفارسي في تحليله لنصوص الشعر التي أوردها في كتابه كتاب الشعر.
٢. ولولا اعتماده لوسائل التأويل النحوي في توجيه نصوص الكتاب لآل ظاهرها إلى ما لا ترتضيه سلامة الإعراب وصحة المعنى.
٣. كان الحذف أهم وسيلة من وسائل التأويل التي اعتمدها إذ مكّنه من ضبط العلاقة بين المعنى والإعراب وتوجيهها بما يخدمها معا وصولا إلى الوجه الصحيح الذي يبتغيه . وقد جاء في مواضع متعددة منها حذف المبتدأ ، وحذف الخبر، وحذف الفاعل والمفعول

١. ديوان العجاج ٣١٦، رواية الأصمعي وشرحه، ت: د. عزة حسن، دار الشروق العربي، بيروت .

لبنان، حلب . سوريا ، ١٤١٦هـ . ١٩٩٥م ، وكتاب الشعر ٣٦٩

٢. ينظر كتاب الشعر ٣٦٩

٣. ديوان رؤبة بن العجاج ٤٢، اعتنى بتصحيحه وترتيبه:وليم بن الورد البروسي،دار ابن قتيبة ،الكويت، وكتاب الشعر ٣٤٣ وهذا البيت جاء في كتاب الشعر بخلاف الديوان،ملفقا من بيتين شطره الأول من بيت والآخر من بيت آخر

٤. ينظر كتاب الشعر ٣٤٣

به اللذين أصلهما المضاف والمضاف إليه وإقامة غيرهما مقامه، وحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، وحذف المضاف.

٤ . وجاء التأويل بالزيادة في مقابل التأويل بالحذف والتقدير ، فوجه بعض الأسماء فيه بالزيادة مع أنه موضع خلاف بين النحاة ذاهبا فيه مذهب الكوفيين . وكثر عنده توجيه المعنى والإعراب بزيادة الحروف كزيادة الباء ، والفاء، والكاف، واللام الموطئة للقسم، وحروف النفي.

٥ . احتل التأويل بالتقديم والتأخير أهمية في توجيه المعنى والإعراب وكان في مواضع منها تقديم الخبر وتأخير الفاعل وتأخير الصفة وتأخير صلة الموصول وتأخير الحال عن صاحبها وتقديمها عليه.

٦ . كان للتأويل بالحمل على المعنى أثره البالغ في توجيه الإعراب والمعنى في كتاب الشعر وكان ذلك في مواضع هي: حمل المفرد على المثنى أو العكس، وحمل المذكر على المؤنث أو العكس، وعودة الضمير من جملة الصلة على الموصول بغير ما يستحقه، وتقدير العامل، ورفع الاسم المعطوف على المستثنى المنصوب.

٧ . وكان للوسيلة الخامسة أيضا أثرها في توجيه الإعراب والمعنى وهي تأويل اللفظ بلفظ آخر كتأويل الفعل بالفعل وتأويله بجعله موضع الاسم، وتأويل الاسم موضع اسم آخر كوضع المصدر موضع اسم الفاعل، واسم المفعول، والظرف.

وقد استفاض البحث في إيراد الكثير من الشواهد الشعرية موضع البحث والدراسة التي أظهرت أثر التأويل واضحا في توجيه المعنى والإعراب في كتاب الشعر، راجيا من الله تعالى أن كون قد وفقت في ذلك والحمد لله والصلاة على النبي الأمين محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

The effect of grammatical interpretation on directing meaning and expression in the book of poetry of Abu Ali al-Farsi (d. 377 AH)

Lect.Dr. Wissam Yaqoub Hilal

Abstract

The importance of grammatical interpretation, which is to carry speech on the face of it, does not lie in two important things. The first: It is a means of returning what violated the grammatical rule - which the grammarians put as a result of the extrapolation of the words of the Arabs - to al-Qaeda. The evidence is apparent to a face that accepts expression and meaning and prevents their conflict or the departure of one of them from the standards of the Arabic language and its safety. Whereas, "Abu Ali Al-Farsi" in his book The Book of Poetry or the so-called explanation of the verses of the problem of expression was diligent in directing many poetic texts, and made its understanding consistent with the true meaning and integrity of the expression, interpretation was adopted as one of the means to achieve its goal. This research dealt with the effect of interpretation in directing meaning and expression in this book, trying to reveal this effect in the texts of the book of poetry and the adoption of its author - a science from Arabic flags - interpretation is a way to direct these texts.